OPEN ACCESS
Received: 09 -03 -2026
Accepted: 03- 06-2026

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Enhancing Children's Narrative Adaptation in Coping with the Harms of War through Comics: Towards the Development of a Literary Model

Dr. Al-Jawharah Bint Bakheet A'al Jehjah *

aaaljehjah@hotmail.com

Abstract:

This study explores how Arabic comics can foster children's narrative adaptation and resilience in the face of the cumulative psychological and social harms caused by war. Integrating perspectives from International Humanitarian Law and the Ethics of Care, the research proposes an original analytical framework, the CARES Model, and applies thematic and semiotic narrative analysis to three influential visual narratives: *Alia's Mission*, *A Game for Swallows*, and *I Remember Beirut*. The study is grounded in the assumption that relational care constitutes a fundamental mechanism of adaptation and that comics possess the capacity to reconstruct children's moral agency by transforming them from passive victims into active ethical subjects. Organized into two main sections, the research first introduces the CARES Model and its methodological applications, then examines narrative and visual representations of war and the strategies through which emotional recovery and adaptation are cultivated. The findings reveal that social relationships and supportive spatial environments function as protective narrative networks that mirror legal frameworks designed to safeguard civilians. In particular, spatial positioning proved highly effective in promoting resilience, while participatory community care emerged as the most significant factor in strengthening adaptive capacities. The study ultimately proposes a literary model that highlights the educational and therapeutic potential of visual narratives in contexts of conflict and crisis.

Keywords: Crisis Literature, Child Epistemic Agency, Ethics of Care, International Humanitarian Law, Arabic Visual Narrative.

* Professor of Literary Criticism and the Language of Law and Regulations, Department of Literature, Rhetoric, and Criticism, College of Arabic Language, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University, Saudi Arabia.

This research is funded by the Literature, Publishing, and Translation Commission of Saudi Arabia, for the interest of the Chair of Children and Young Adults' Literature, Princess Nourah Bint Abdulrahman University. To whom we extend our sincere gratitude and appreciation.

Cite this article as: A'al Jehjah, A. B. B. (2026). Enhancing Children's Narrative Adaptation in Coping with the Harms of War through Comics: Towards the Development of a Literary Model, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *8*(3): 78 - 106. https://doi.org/10.53286/efd8bv24

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2026/03/09م
تاريخ القبول: 2026/06/03م

تعزيز التكيّف السردي لدى الأطفال في مواجهة أضرار الحرب في قصص الكوميكس: نحو بناء نموذج أدبي

د. الجوهرة بنت بخيت آل جهجاه *
aaaljehjah@hotmail.com

ملخص

سعت هذه الدراسة إلى استنبات حركيّة التكيّف السرديّة لدى الطفل في مواجهة الشدائد التراكمية الناتِجة عن الحرب، مُدمِجة مبادئ القانون الدولي الإنساني وفلسفة أخلاقيات الرعاية. واعتمدت الدراسة على أداةٍ تحليليةٍ مركزيةٍ من ابتكار الباحثة، هي نموذج (رِعاية CARES)، مُطبّقةً منهجية التحليل السردي الموضوعي والسيميائي في فحص ثلاث حكايات بصرية (كوميكس) مركزية تنتمي إلى بيئات النزاع المسلّح العربية؛ وهي: (مهمّة علياء) (*Alia's Mission*)، و(لُعبة السنونو) (*A Game For Swallows*)، و(أنا أتذكّر بيروت) (*I Remember Beirut*). وانطلقت الدراسة من فرضية مَفادها أنّ الرعاية العلائقية المَحميّة بالصكوك الدولية القانونية هي المحرّك الأساسي للتكيّف، وأنّ وسيط الكوميكس يُعِيد بناء وَكالة الطفل الأخلاقية ليتحوّل من مُربَّع الضحية السلبية إلى رُتبة الفاعل الأخلاقي المستقلّ. وقُسّمت الدراسة إلى مقدمة ومبحثين ونتائج؛ يَعتني المبحث الأول بتقديم نموذج (رِعاية CARES) البيداغوجي المبتَكَر، مُستَعرِضًا أدواته المنهجية، ومَصفوفاته التطبيقية والبَيانية، وكفاءته الإجرائية في فحص عينة الحكايات البصرية المدروسة. في حين يتناول المبحث الثاني التمثيلات السردية والبصرية للحرب في المتن المدروس مُبرِزًا آليات استنبات التكيّف والترميم الوجداني، وأثبتت النتائج أنّ الروابط الاجتماعية والبيئة المكانية يُشكّلان أنسجةً سرديةً حامِيةً، تُحاكِي الحماية القانونية للمدنيّين؛ إذ سجّل إجراء (التموضع المكاني) كفاءةً تطبيقيةً عاليةً، وشكّلت الرعاية المجتمعية التشاركية الفعاليةَ الأقوى في حركيّة التكيّف.

الكلمات المفتاحية: أدب الأزمات، السُّلْطة الإبستيمية للطفل، أخلاقيات الرعاية، القانون الدولي الإنساني، الحكاية البصرية العربية.

---

* أستاذ النقد الأدبي ولغة القانون والأنظمة، قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

أُنجز هذا البحث بدعم من هيئة الأدب والنشر والترجمة، في المملكة العربية السعودية، تحت مظلّة كرسي أدب الأطفال واليافعين، بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، فلهم منّا خالص الشكر والتقدير.

للاقتباس: آل جهجاه، ا. ب. (2026). تعزيز التكيّف السردي لدى الأطفال في مواجهة أضرار الحرب في قصص الكوميكس: نحو بناء نموذج أدبي، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *8*(3): 78- 106 https://doi.org/10.53286/efd8bv24

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

يَعيش العالم المعاصر أزمةَ رعايةٍ حادّة؛ حيث يُوجد أكثر من 473 مليون طفلٍ في مناطق النزاعات المسلّحة (UNICEF Innocenti, 2025, p. 3). وتتجلى أهمّية هذه المقاربة في بيئات النزاع المسلّح العربية؛ حيث تحوّلت الحروب إلى "جحيمٍ على الأرض" وفقًا لتوصيف تقارير الأمم المتحدة المعاصرة (UN News, 2024)؛ إذ لم تَعُد الاستجابة العِيادية التقليدية القائمة على معالجة المرض كافيةً؛ ممّا يَفرض تبنّي بيئاتٍ بيداغوجيةٍ، تَغرس في وعي الطفل القارئ قِيَم الفعل والمبادرة من خلال تَجاوز قوالب التنفيس العاطفي السطحي، بِما يَمنح الطفل فاعليةً لفهم واقعِه، وترميم ذاته جرّاء الصدمة، تفعيلًا للمنظور التربوي المَعنيّ بأدب الأزمات لدى (Walter, 1993)، خصوصًا أدب الكوميكس (Comics) والسردية الحِكائية البَصرية (Graphic Novel).

وتُعرَّف الكوميكس والسردية الحِكائية البَصرية -التي تَختلف عن الكوميكس في الحجم وتفرُّع الأحداث واللوحات المشهدية (Panels)- بكونها وسيطًا (متعدّد الوسائط)، يَجمع بين النص والصورة في تآزرٍ اتصاليّ فريدٍ بين الأنواع الأدبية، يُفكّك الثنائية التقليدية الصارمة (أصدقاء ضدّ أعداء/خير ضدّ شرّ)، ويُركّز على المأساة الإنسانية المشترَكة؛ ممّا يَمنع تحوّل أدب الأطفال إلى أداة دعايةٍ مُنحازَةٍ؛ ممّا يَخلق مسافةً جماليةً تَحمي الطفل من الأثر الانفعالي الحادّ المباشِر، وتَدفع به نحو المشارَكة النّشطة في بناء المعنى (Nikitenko, 2025)، وقد أكّدت (Chute, 2016) أنّ البنية التشكيلية للكوميكس، القائمة على تتابع اللوحات المشهدية، تُمثّل أداةً تعبيريةً فريدةً قادِرةً على تفكيك الكُسُور التاريخية (Historical Fractures)، وتَمثيل صدمات الحروب، وتَجزئتها مكانيًّا.

وفي هذا السياق، أكّدت (Szép, 2014) على القيمة الأخلاقية للرسم التعبيري؛ إذ يُتيح تمثيلَ أجساد الأطفال وآلامهم دون تَعريضهم لإعادة الإيذاء والوَصْم بالضحيّة (Re-victimization)، التي تَفرضها الصور الواقعية الفوتوغرافية، مُوفِّرًا مسافةَ استقبالٍ آمنةً وجماليةً. وعليه، فإنّ الكوميكس ليس مجرد وسيلة إيضاحٍ عابرة، وإنّما هو بيئةٌ تفاعليةٌ بصريةٌ، تُعزّز الترميم الحِكائي الذاتي من خلال مَنْح الطفل الوكالة السردية، التي تتحدّد إجرائيًّا في ضوء مَنظور روسو وزملائه (Rousseau et al., 2004) بوصفها: قدرة الطفل الإبداعية على توظيف وسائط الفن (كالرسم أو الكتابة) لتجسيد خبراته الصّادِمة، وإعادة ترميم بنائه النفسي الداخلي المتضرّر جرّاء الشدائد.

وارتباطًا بهذا التأصيل المفاهيمي للوسيط وقدرته على صهر الأبعاد الجمالية والتربوية، واجهَ البحث معضلةً تصنيفيةً أوليّةً، تتعلق بالطبيعة الأجناسية المتباينة لعينة الدراسة الحالية؛ إذ تنقسم الأعمال المختارَة إلى نوعين أدبيين مُتميّزَين في أدب الناشئة العالمي؛ فالعمل الأول (مهمّة علياء) يَقِف في فضاء التوثيق التاريخي والسِّيَر الواقعية المصوَّرة (Graphic Non-fiction)، والعمل الثاني (لعبة السنونو) والثالث (أنا أتذكر بيروت) يَنتميان إلى حقل المذكرات والسِّيَر الذاتية الجرافيكية الشخصية (Graphic Memoirs). وبناءً عليه، فإنّ استخدام مصطلحاتٍ بنيويةٍ ضيقةٍ أو تقليديةٍ؛ مثل: (الرواية الجرافيكية)، كان سيُوْقِع الدراسة في فخّ عدم الدقة المنهجية؛ نظرًا لأنّ العمل التوثيقي التاريخي لا يَستقيم نقدًا إدراجه تحت جنس الرواية التخييلية الطويلة.

ومن هذا المنطلق، اتخذت الدراسة قرارًا استراتيجيًّا وبَلاغيًّا بارتكاز عنوانها وإطارها المفاهيمي على مصطلح (الحِكاية البصرية) (Visual Narrative) بوصفه مظلّةً نقديةً وفلسفيةً عُليا قادرةً على صهر هذين النوعين الأدبيّين معًا واستيعابهما. وتتطلّب مُعالجة التنازع الأجناسي في عينة الدراسة تفكيكًا منهجيًّا للعلاقة البَينية بين وسيط الكوميكس والأنواع المتفرّعة

عنه؛ إذ تُعَدّ الرواية الجرافيكية (Graphic Novel) بمثابة المظلّة الفنية والجمالية الكبرى، التي تَنضوي تحتها الأعمال السردية البصَرية الطويلة ذات البناء الدرامي المتكامِل والعُمق التعبيري (Chute, 2016).

ويَنبثق من هذه المظلّة جِنس السيرة الذاتية الجرافيكية (Graphic Memoir) بوصفه نوعًا فرعيًّا مُتميّزًا يَلتزم بمرجعيةٍ واقعيةٍ وتوثيقيةٍ صارمةٍ، تَنطلق من الذاكرة الشخصية والتجربة المُعَاشة، مُتجاوِزًا حدود التخييل الروائي المطلق، ليُصبح شهادةً بصريّةً على التاريخ (Szép, 2014).

ويَكمن الفارق الجوهري بين هذه الأجناس ووسيط الكوميكس التقليدي (Traditional Comics) في طبيعة المرجعية السردية وهَيكليّة اللوحات المشهدية؛ ففي حين يَرتكِز الكوميكس التقليدي -غالِبًا- على حبكاتٍ تخييليةٍ نمطيةٍ، وتَسلسلاتٍ مشهديّةٍ بسيطةٍ، تَخدم أغراضًا تجاريةً، وتُفسِّر فيها الكلماتُ الصورَ تفسيرًا خطّيًّا مُبسَّطًا، فإنّ الرواية والسيرة الجرافيكية تُؤسّسان لتآزرٍ اتّصاليّ وخِطابيّ معقّدٍ، يَتجاوز الثنائيات التقليدية الصارمة (كالخير المطلق، والشرّ المطلق)، وتُوظِّفان تصميمًا مَشهديًّا مَرِنًا يَستثمر الفراغاتِ البينيّة (Gutters) والمسافات الجمالية لإعادةِ تمثيل الصّدمات التاريخية، وتَجزِئتها مكانيًّا بما يَمنح المتلقّي مسافةَ استقبالٍ جماليّة آمِنة (Chute, 2016; Szép, 2014).

يُضاف إلى ذلك أنّهما تعملان بوصفهما أداتين بيداغوجيّتين تَستعملان التآزر اللغوي والبصري؛ لتفعيل التكيّف السردي، وأنسنة بيئات النزاع المسلّح. لذا؛ تُجسِّد الحِكايةُ البصرية -هنا- الممارسةَ الحيّةَ لـ(أخلاقية القصة)، التي تَدمج القارئ الطفل شريكًا في التأويل والشهادة، بصرف النظر عن القالب التصنيفي الضيق للعمل الأدبي.

تُعرَّف المقاربة البيداغوجية (Pedagogical Approach) إجرائيًّا في سياق هذه الدراسة بأنّها: الإطار التربوي والتطبيقي المنظّم للبيئات التعليمية والرمزية، الذي يُعنى بتوجيه السلوك وتطوير النموّ الإنساني من خلال تأسيس روابط تفاعليةٍ واعيةٍ، تتجاوز التّلقين الجافّ والأُحادية الإرشادية، لتُراعي الخلفيّات الوجدانية والثقافية للأطفال، وتُهيّئ لهم مساحاتٍ آمنةً للتعبير والمشاركة الفعّالة (Lundy, 2007). في حين تُعرَّف السُّلْطة والوكالة الإبستيمية للطفل (Epistemic Authority & Agency) إجرائيًّا بأنّها: الأهليّة المعرفية والعمَلية المستقلّة للطفل، التي تُمكّنه من مُمارسة دورِه صانعًا شرعيًّا للمعنى، ومُنتِجًا أصِيلًا للمعرفة، ومُساهِمًا فعّالًا في تفسير خبراته المُعاشَة، وتحدّي سرديات العنف المفروضة عليه دون خضوعٍ لوِصايةٍ اختزاليةٍ تضعه في قالب الضحية العاجِزة (Fricker, 2007; Lundy, 2007).

وأما الحرب من المنظور النفسي العِيادي، فهي ليست مجرد حدثٍ زمنيّ عابرٍ، وإنّما هي بِنيةٌ تَفرض مستوياتٍ حادةً من الترويع، تُشوّه البناء الذهني للطفل، وتُهدّد أمانَ علاقاته الحميمية مع القائمين على رعايته؛ وهو ما يُؤصِّل له (Layne et al., 2025) في دراسته لحواضن الأمان الوجداني المتضرّرة جرّاء الحروب. يَعني ذلك أنّ أضرار الحرب تتجاوز الجروحَ الجسدية العابرة، لتشمل النّدوب الحادّة في الذاكرة، والتشوّهات في البناء الذهني للطفل، وهي النّدوب التي تُعِيد تشكيلَ الهوية الإنسانية بناءً على الخوف، والاستِبعاد، وتَقويض ملاذات اليقين الوجودي؛ اتّساقًا مع المنظور العِيادي المعاصر لـ(Layne et al., 2025) حول الأثر الوجداني المتراكم للشدائد، التي تُحطّم أنظمة التكيّف النفسي. ويُؤدّي هذا التدمير الروحي إلى حالةٍ من انحسار الأثر الاتصالي وسط فوضى الحرب وعشوائيّتها؛ ممّا يتطلّب تدخّلاتٍ بيداغوجيةً ونقديةً حسّاسةً للسياق الثقافي، تَرفض بشكلٍ قاطعٍ الصور النمطية الاختزالية والمؤسّسية عن اللاجئ المُحَطَّم، أو الضحية السلبية العاجِزة، وتُقدّمه بوصفه ذاتًا إنسانيةً واعيةً، تُناضِل عبر حكاية قصّتها؛ لاستعادة كرامتها واستقلاليّتها الإبستمولوجية، تفعيلًا للمنظور الأنثروبولوجي لـ(Eastmond, 2007) في سوسيولوجيا السّرد المُعاش.

ولهذا السبب، تَعتمد الدراسة مصطلح (الشدائد التراكمية)؛ وتُعَرَّف في سياق النزاع المسلّح بأنّها التعرّض المستمرّ والمتكرّر لضغوطاتٍ متعدّدةٍ (مثل: القصف، والنّزوح القسري، والفَقْد) يَتفاعل بعضها مع بعض؛ لتَخلق أثرًا وجدانيًّا مُتراكمًا، يَتجاوز مجموع الأحداث المنفردة؛ تفعيلًا للمفهوم النظري المستقرّ في أدبيات (Layne et al., 2025). ويَتكامل مفهوم (الشدائد التراكمية) مع المنظور الإكلينيكي والتشخيصي؛ حيث تُمثِّل القياسات العِيادية النفسية (مثل: تشخيص اضطرابات الفَقْد الممتدّ، وأعراض الصدمة) أدواتِ كشفٍ وتشخيصٍ ضروريةً لرصد حجم الأزمة الوجودية ومُدخلاتها العنيفة، في حين يتدخّل نموذج (رِعاية CARES) بوصفه إطارًا تنمويًّا قِيَميًّا وأخلاقيًّا يُوجّه المخرجات البيداغوجية والجمالية نحو الترميم الوجداني والاستقلالية التفسيرية للطفل.

ويَستند التحليل الحقوقي في هذه الدراسة إلى القانون الدولي الإنساني (International Humanitarian Law-IHL)، الذي يَمنح الأطفال حمايةً خاصةً باعتبارهم مَدَنِيّين فَرِيدِين، تَتطلّب انتهاكاتُ حُقوقهم رصدًا ومُساءلةً دوليةً صارمةً وفقًا لما يُوثّقه تقرير الأمين العام للأمم المتحدة المَعنيّ بالأطفال والنزاع المسلّح (Report of the Secretary-General, 2025, A/79/878)؛ حيث تُلزِم المادة (38) من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل الدُّوَلَ باحترام قواعد القانون الدولي الإنساني ذات الصّلة بالطفل (United Nations, 1989)، وتُشدّد المادة (39) من الاتفاقية نفسها على واجِب "إعادة التأهيل النفسي والاجتماعي" في بيئةٍ تُعزّز الصحة والكرامة للضحايا الصغار جرّاء الحروب.

ويتجلّى -هنا- أنّ المبدأ الجوهري هو (التّمييز) (Distinction)؛ حيث تَجِب حماية الأعيان والمرافق التي يرتادها الأطفال -مثل المدارس والمكتبات- من الهجمات العسكرية؛ باعتبارها أعيانًا مدنيةً محميّةً بموجب المادة (52) من البروتوكول الإضافي الأول (1977م) الملحق باتفاقيات جنيف لعام 1949م، التي تَفرض حظرًا مطلقًا على توجيه العمليات العِدائية نحوها، ويُعَدّ استهدافها المتعمَّد انتهاكًا جسيمًا وجريمةَ حربٍ وفقًا للمادة (85) من ذات البروتوكول (ICRC, 1977a).

وفي سياق تفعيل البُعد الحقوقي لنموذج (رِعاية CARES)، يتجاوز التحليل المقاربات الجنائية الفردية ليرتكز بصورةٍ شاملةٍ على أحكام اتفاقية لاهاي لعام 1954م لِحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلّح والبروتوكولين الإضافيين (1977) الملحَقين باتفاقيات جنيف لعام 1949م (UNESCO, 1954; ICRC, 1977a, 1977b)؛ بوصفها صكوكًا دوليةً إنسانيةً مستقرةً ومُلزِمةً عالميًّا لحماية الأعيان الثقافية والتعليمية للمَدنيّين؛ ففي رواية (مهمّة علياء)، التي توثّق النزاع المسلّح الدولي في العراق عام 2003م، يَتأسس التحليل على المبادئ الدولية الحاكِمة لحظر تدمير المنشآت المُخصَّصة للعِلْم والتعليم، ومُصادَرة التراث الثقافي المَنقول أو توظيفه عسكريًّا (Stamaty, 2004, p 7, 36).

وبالمثل، في روايتي (لعبة السنونو) و(أنا أتذكّر بيروت)، اللّتَين توثّقان النزاعات المسلّحة الداخلية -غير الدولية- في لبنان (Abirached, 2012, p 5- 8; Abirached, 2008, p 4- 5, 96)، فإنّ الإطار القانوني الإنساني الحاكِم يَرتكز على القواعد العُرفية والقانونية الحامِية للمؤسّسات التعليمية، والمَرافق المَدنية، وحواضن الطفولة ضدّ الاستهداف العسكري؛ بمَا يَضمن الحفاظ على بيئة التنشئة المدنية وحقّ الطفل في فضاءٍ تربويّ آمنٍ وسط الأزمات. وتُجادِل الدراسة بأنّ السردية الحِكائية البصرية تَعمل بوصفها "أداةً قانونيّةً ناعمةً"، تُسْهِم في التنشئة المدَنية من خلال تعريف الطفل بحُقوقه ومسؤولياته في أوقات الفوضى (Todres & Higinbotham, 2016).

وقد تَعمّدت الدراسة تأصيلَ مصطلح (التكيّف السردي والأخلاقي) (Narrative & Ethical Adaptation) ركيزةً مفاهيميةً حاكِمةً في مواضع التحليل؛ وهنا يَتقاطع نموذج (رِعاية CARES) مع المنظور البيئي والديناميكي للمرونة النفسية وعوامل الحماية المستقرّة في أدبيات (Layne et al., 2025)؛ إذ لا ترى الدراسة الحالية في المرونة مجرد استجابةٍ عفويةٍ سلبيةٍ

أو تعافٍ معزولٍ، وإنّما تتبنّى المقاربة التفاعلية القائمة على التكيّف الإيجابي، وتَرميم حواضِن الأمان الوجداني المحيطة بالطفل في بيئات النزاع المسلّح. غير أنّ نموذج (رِعاية CARES) يَرتقي بهذا التكيّف التطوّري، ليَصوغه إجرائيًّا بوصفه تكيّفًا سرديًّا وأخلاقيًّا نشِطًا.

بخلاف ذلك، فإنّ التكيّف السردي والأخلاقي -كما تستنبطه هذه الدراسة، وتتتبَّع تشكّله عبر الأنسجة السردية الحامِية للحكايات البصرية- يُمثّل فعلًا بينَ-ذاتيّ، نَشِطًا بيداغوجيًّا وأخلاقيًّا، يَتجاوز مجرّد التعافي النفسي الفردي المعزول؛ ليمتدّ تفعيلًا لأبعاد نموذج (Lundy, 2007) نحو تمكين الطفل من استعادة سُلْطَتِه الإبستيمية، عبر امتلاكه الفِعلي لعُنصرَي (المساحة) و(الصوت)، وفَرْض سُلْطتِه وحَقّه في إنتاج أبعاد الحكاية والمكان.

ولا يَعني التكيّف في هذا السياق البيداغوجي نَفْيَ الألَم أو كَبْتَه، وإنّما يَعني قدرةَ الطفل القارئ والشخصية معًا على الحِفاظ على نَواةٍ وُجوديةٍ وعاطفيةٍ غيرِ قابلةٍ للتحطُّم، والتمسّك بالهوية والمعنى وسط ظروف النزاع المسلّح. ويتّسق هذا التأصيل مع المنظور الجمالي لـ(Szép, 2014) في أنّ بنية الحكاية البصرية (الكوميكس) تَعمل آليةً دفاعيّةً وهيكليةً مُنضبِطةً، تُعيد تأطير شظايا الحرب وعشوائية العنف، وتُحوّلها إلى موضوعاتٍ خاضعةٍ للتأويل والتفكيك الوَعْيِيّ داخل اللوحة المشهدية؛ ممّا يَمنح الذات مَلاذًا دلاليًّا حاميًا يَصُون تماسكَها الوجداني.

ومن ثمّ، فإنّ هذا الإحلال اللفظي يَضمن فكّ الاشتباك التامّ مع أُطُر التوصيف الإجرائي العِيادي أو المَفاهيمي الضيّق؛ حيث يتأصّل التكيف السردي نقديًّا وعِياديًّا. وفي هذا السياق، يَمنح المنظور البنيوي لِـ(De Muijnck, 2022) سندًا معرفيًّا في بيان قُدرة السّرد الذاتي على خَفْض خِبرات الخَراب الوجودي، والحَدّ من حدوث الطوارئ، ومساعدة الذات في استعادة استقلاليّتها، وتتآزر معه المقاربة الوجودية المعاصرة لِـ(Tsykhuliak et al., 2025) في تفسير تَحوّل الهوية بعد صدمات الحروب من رُتبة الضحية السلبية إلى فضاء الكينونة الواعِية والملتزِمة بالمعنى؛ توازيًا مع ما أَثبتته تجارب (Ferreira et al., 2025) حول كفاءة القصص التمكينية عِياديًّا دون شحناتٍ أيديولوجيةٍ خارج السياق، وهو ما يَتطابق تجريبيًّا وطوليًّا مع مقاربة (Pennebaker et al., 1997).

وفي إطار مراجعة الدراسات السابقة، أشارت الاتجاهات الحديثة في دراسات أدب الحرب المُوجَّه للطفل إلى تحوّلٍ جذريٍ نحو المنعطف الأخلاقي؛ حيث يُركّز على قُدرة الأدب في ضبط البوصلة الأخلاقية والوجدانية للقارئ، بدلًا من مجرّد سَرْد الفظائع التاريخية بشكلٍ مُحايدٍ؛ وتتفق هذه الرؤية مع المنظور التأسيسي لِـ(Veldhuizen, 2021) في أنّ أدب النزاعات المسلّحة يَعمل ميدانًا تدريبيًّا مَعرفيًّا، يُتيح للناشئة تطويرَ أحكامهم الأخلاقية، وتنميةَ قِيَم العدالة والتعاطف تجاه الآخر. وقد جادلت الأدبيات بأنّ المقاربات العِيادية والتشخيصية التقليدية في معالجة أدب الأزمات قد تَقع في فخّ (الوَصْم الإنساني النمطيّ) إذا اختزلتْ ذاتَ اللاجئ أو الطفل في صورةِ الضحيةِ السلبية المحتاجَةِ إلى الشّفقة، مُجرِّدَةً إيّاه من سُلْطَته الإبستيمية، وقُدرته على المبادرة (Davies & Rifkind, 2020).

وبدلًا من المقاربات العِيادية التقليدية، تُؤكّد الأدبيات على مفهوم أخلاقيّات السرد (Narrative Ethics) بوصفه وسيلةً لاكتساب الحِكْمة الأخلاقية، والتقييم السلوكي من خلال مُعايشة القصص، وتَدبّر خياراتها المعقّدة (Phelan, 2012)؛ كما تَبرز في هذا السياق أهميّة تفعيل سُلْطة السرد (Narrative Authority)، التي تُمَكِّن الطفلَ أو الإنسانَ المأزوم من امتلاك زمام قصّتِه الخاصة، وإعادة إنتاج معناها بوصفه أداةً نقديةً صلبةً لمواجهة التهميش، وتفكيك سرديات العنف المهيمنة (Eastmond, 2007).

من جهةٍ أخرى، شَهِدت الدراسات السيكولوجية والتربوية المعاصرة تحوّلًا جذريًّا من النماذج العِياديّة التقليدية، التي ركّزت على عجز الطفل وصدمته، إلى نماذج الرعاية التمكينية القائمة على تفعيل وَكالة الطفل (Child Agency). ويتقاطع هذا التحوّل مع ما أثبته (Veronese et al., 2024) إكلينيكيًّا من أنّ قدرة الطفل على التكيّف تَتجذّر في تماسك البيئة الأُسْرية وحيويّة السياق الاجتماعي بوصفهما حواضِن وجوديةً تَقِي من الانهيار النفسي؛ وهو ما يُفسِّر إجرائيًّا كيف تتحوّل حركيّة التكيّف السرديّة في البيئات العربية من مجرّد تَعافٍ نفسيٍّ فرديٍّ مَعزُولٍ إلى فعلِ مواجهةٍ اجتماعيٍّ وثقافيٍّ أشمل، يُحافِظ على الهوية الجمعية. وفي هذا السياق، أكّدتْ (Noddings, 2013; see also Adhikari et al., 2023) أنّ التربية الأخلاقية يَجب أنْ تتأسّس على الرّعاية العلائقية (Relational Caring)؛ حيث يَدمج الطفلُ قِيَمَ التكيّف والتوافق الوجداني جرّاء الشعور بأنّه مُحَاطٌ بحواضِن وجوديةٍ تَرعاه.

أمّا في بيئات النزاع المسلّح العربية، فأبرزت الأدبيات الحديثة مفهوم حركيّة التكيّف السرديّة بوصفها فعلَ تكيّفٍ بيداغوجيًّا واجتماعيًّا، يَتجاوز التعافي النفسي الفردي، ليَشمل الحفاظ على الهوية الثقافية (Veronese et al., 2024). ومع ذلك، يُلاحَظ وُجود فجوةٍ معرفيةٍ في استخدام القانون الدولي الإنساني إطارًا نقديًّا وتحليليًّا للأدب البصري؛ فرغم (Todres & Higinbotham, 2016) رأتا أنّ أدب الطفل يُعدّ مصدرًا استئناسيًّا للقانون، يُعرِّف الصغارَ بحقوقهم العامة في الحماية والتمكين، إلّا أنّ أطروحتَهما اقتصرتْ على فضاء القانون الدولي لحقوق الإنسان في الأحوال الاعتيادية، دون التطرّق لآليات حِماية الطفولة في وثائق القانون الدولي الإنساني أثناء الحروب.

وبالتركيز على الطروحات النقدية الدولية المعاصرة، التي تُؤصّل جماليات التكيّف مع الشدائد المتراكمة للحروب، وأنسنة الفضاء المأزوم؛ أكّدت (Szép, 2014) أنّ وسيط الكوميكس في (لعبة السنونو) يَتجاوز إعادة إيذاء أجساد الضحايا عبر تبسيطها الرسومي، مُنتِجًا فضاءً من الترتيب البصري الصارم، والخطوط الهندسية المنضبطة بوصفها آليةً دفاعيةً لمواجهة عشوائية الخَراب الخارجي وتأطير الصدمة. في حين لَفتت (Kemp, 2017) الانتباه إلى أنّ التعلّق اليومي بالأشياء المألوفة والأصوات الحميمية يُمثّل مرساةَ استقرارٍ وجدانيٍّ، تَحمي نفسيّةَ الطفلِ في الحرب من تداعيات انتظار المجهول.

وفي فضاء معالجة الشدائد التراكمية للحرب وتطوير الوكالة الإبستيمية في (أنا أتذكر بيروت)، كشفتْ دراسة (Atieh, 2025) عن آلية (إزالة الألفة الإبستيمية) بوصفها إجراءً تشخيصيًّا يُطوّع الواقع الصادم من خلال تحويل أدوات الموت (كالشّظايا) إلى موضوعاتٍ للّعب والشهادة الحكائية. وتكتمل هذه الرعاية العلائقية ببُعدها المؤسّسي عند (Al Dhahab & Atieh, 2025) عبر تبيان الدّور الوقائي المستقرّ للمدرسة والمعلّمين في تأمين بيئاتٍ تعليميةٍ تَدعم صمودَ الصغار؛ حيث قيّمتْ دراستهما فاعليةَ أدوات الذكاء الاصطناعي (ChatGPT and Good AI) في تحليل رواية (أنا أتذكّر بيروت)، وقد كشفتْ عن تحيزاتٍ ثقافيةٍ حادّةٍ، وفَبركةِ اقتباساتٍ كاملةٍ من قِبَل نماذج -مثل: (ChatGPT)- التي وَصَمتْ المُعَلِّمين بـ(عدم الصدق العاطفي)، وتبنّي (ثقافة الإنكار).

وتتعارض هذه الاستنتاجات التمكينيّة كليًّا مع القراءات الإحصائية القاصرة، التي تَختزل مجتمعات الحروب في أرقام صمّاء؛ حيث يُثبت الواقع الحكائي البصري تفعيلَ دور البيئة التعليمية والمدرسية بوصفها ملاذًا بيئيًّا مُستقرًّا، يَدعم صمود الطلّاب نفسيًّا وأكاديميًّا، وهو ما يُؤكّده ويُؤصّله المنظور التربوي الحديث لِـ(Al Dhahab & Atieh, 2025) في دراسة حواضِن الصمود البيئية، بالتكامل مع المقاربات البيئية لِـ(Veronese et al., 2024) في تأكيد حيوية المساحات التعليمية الآمِنة والمُستدامة؛ لتجسير الفجوة بين التحليلات الرقمية الجافّة والواقع المَعِيش.

يمتدّ هذا التآزر المفاهيمي والتربوي لتوثيق فاعلية مجتمع الجِوار والذات المسؤولة في حماية التراث الحضاري والذاكرة الجمعية بـ(مهمّة علياء)؛ وهو إسهامٌ نقديٌّ متكامِلٌ سيتكشّف بصرامةٍ علميةٍ أكبر خلال التحليل التطبيقي عند إخضاع العينة لمصفوفة نموذج (رِعَاية CARES)؛ حيث إبراز تفعيل حركيّة التكيّف السرديّة، وتفكيك أبعاد الترويع من منظور القانون الدولي الإنساني؛ لأنّ نموذج (رِعَاية CARES) يَعمل بوصفه إطارًا بنيويًّا وحُقوقيًّا عابِرًا للتخصّصات.

ويتمثّل الجديد الذي ستُضيفه هذه الدراسة في أنّها تَنطلق من فرضيةٍ بيداغوجيّةٍ، مَفادها أنّ الكوميكس في بيئات النزاع المسلّح يَعمل بوصفه عمليةَ اتصالٍ تفاعليّ وتبادليّ؛ حيث لا يَقف الطفل فيه موقفَ المتلقي السلبيّ لرسائل العنف الإعلامية، وإنّما يَتفاعل مع المادة المَعروضة بوصفها خطابًا اتصاليًّا مُتبادَلًا، يَمنحه استقلاليةً تفسيريةً، ويُحقّق له (الأثر الأخلاقي والاتصالي) المطلوب لتفكيك الشدائد التراكمية (Cumulative Adversity) للحرب. وقد استند هذا النموذج إلى فلسفة أخلاقيات الرعاية والمسؤولية السردية، ووظّفها في تحليل ثلاث تجارب أدبيةٍ مَركزيةٍ من أدب الحكايات البصرية (الكوميكس) الخاص ببيئات النزاع المسلّح العربية المكتوب باللغة الإنجليزية.

وتهدف هذه الدراسة بالدرجة الأولى إلى تحقيق الآتي:

1- تحليل تمثيلات الحرب في الكوميكس الخاص ببيئات النزاع المسلّح العربية من منظور (أخلاقيات الرعاية)؛ لبيان كيفية انتقال الطفل من موقع الضحيّة إلى موقع الفاعِل.

2- تقديم نموذج (**رِعاية CARES**) المبتَكَر بوصفه إطارًا نقديًّا وتربويًّا، يُساعِد المبدعين والمربّين العرب في تعزيز تكيّف الأطفال مع الشدائد التراكمية للحرب.

3- استكشاف العلاقة المنهجية بين مبادئ القانون الدولي الإنساني والبنية الجمالية لوسيط الكوميكس (السرديات الحكائية البصرية)؛ وتوظيفها بوصفها أداةً بيداغوجيةً لتعزيز وعي الطفل بحقوقه ومسؤولياته في أوقات الأزمات؛ تفعيلًا للمبدأ التربوي الذي أصّلَتْ له أدبيات (Todres & Higinbotham, 2016).

4- الوصول لتقديم خارطةِ طريقٍ تطبيقيةٍ للأدباء العرب، تَضمن الجودة العلمية والأخلاقية في الكتابة الحكائية البصرية عن الحرب للناشئة.

وبناءً على المشكلة البحثية والأدبيات السابقة، تَضع هذه الدراسة الفرضيات الآتية؛ لتوجيه التحليل:

الفرضية الأولى: أنّ (الرّعاية العلائقية) والمجتمعية تُشكّل المحرك الأساسي لتفعيل حركيّة التكيّف السرديّة لدى الطفل في الكوميكس (السرديات الحكائية البصرية) الخاصة ببيئات النزاع المسلّح العربية، مُتفوّقةً على أفعال البطولة الفردية المعزولة.

الفرضية الثانية: أنّ وسيط الكوميكس (السرديات الحكائية البصرية) يَمتلك القدرة على تحويل الطفل من (موقع الضحية) إلى (موقع المبادَرة الأخلاقية) من خلال تفعيل (الوكالة الأخلاقية السردية)؛ أي: القُدرة على إنتاج المعنى بصريًّا.

وعليه، تَكمن أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى بناء نموذجٍ أدبيّ تربويّ مُبتَكَرٍ، يُفعّل حركيّة التكيّف السردية لدى الأطفال، والترميم الذاتي الحِكائي ضدّ الشدائد التراكمية للحرب؛ باعتبار الأطفال فاعِلِين أخلاقيّين يَمتلكون حقّ التعبير والمشاركة وفق المادة (12) من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل لعام 1989م (United Nations, 1989).

وتتحَدّد أبعاد هذه الدراسة بحدود موضوعيةٍ، تشمل: أخلاقيّات الرعاية، والمسؤولية السّردية، والوكالة الأخلاقية السردية؛ وحدود جغرافيةٍ، تَنحصر في دولة لبنان ودولة العراق؛ لضمان خصوصية السياق الثقافي العربي؛ وحدود عُمْريةٍ، تَستهدف الفئة من 5 سنوات إلى 17 سنة؛ بالإضافة إلى حدود لغويةٍ وأدبيةٍ، تقتصر على الكوميكس والسرديات الحكائية

البصرية المنشورة باللغة الإنجليزية بوصفها قراءةً نقديةً وبيداغوجيةً في أدب الناشئة العربي المصوَّر، تعتمد بالكامل على مقاربةٍ أدبيةٍ فلسفيةٍ مُستنِدَةٍ إلى أخلاقيات الرعاية والسرد؛ إذ ينحصر نطاق الورقة في التعبير الأدبي والتحليل التربوي للنصوص والوحدات المشهدية داخل العينة المدروسة.

وفيما يتصل بمنهج الدراسة الحالية، فقد اعتمدت على منهجية التحليل الكَيفي الموضوعي والسيميائي النقدي لخطاب الحكاية البصرية في وسيط الكوميكس. وتهدف هذه المقاربة النوعية إلى تفكيك الدلالات الرمزية والأبعاد الجمالية البينية في عينة الدراسة؛ لفهم كيفية بناء المعنى بيداغوجيًّا وحقوقيًّا دون الاقتصار على الأرقام الصماء، التي قد تختزل التجربة الإنسانية للأطفال. كما استُخدم نموذج (رِعاية CARES) بإجراءاته الخمسة؛ للكشف عن نجاعة الأداء الاتصالي له، وقدرته على إيصال الرسالة الأخلاقية والبيداغوجية المحصّنة للطفل، وهو منهجيةٌ مركّبةٌ تَجمع بين التحليل النصي والتحليل السردي البصري لوسيط الكوميكس (السرديات الحكائية البصرية). كما اعتمدت الدراسة على إجراءات التحليل الموضوعي؛ لتحديد الثيمات السردية والبصرية الشامِلة وتصنيفها.

وينطلق البحث إبستيمولوجيًّا من منظور الواقعية النقدية، الذي يَسعى إلى تفسير تمثيلات الحرب والترميم الوجداني من منظورٍ تربويٍّ حُقوقيٍّ؛ حيث يتّسق هذا الإطار مع المنظور المعاصر لِـ(Nikitenko, 2025) في قُدرة الكوميكس (السرديات الحكائية البصرية) على تقديم شهاداتٍ واقعيةٍ، تَعكس تجارب الحروب المعاشَة للأطفال، وتُفكّك أبعادها الأيديولوجية من مسافةٍ بيداغوجيةٍ آمنةٍ، تَدمج بين استخلاص المعاني وتَكميمها نظاميًّا (Braun & Clarke, 2006; Schreier, 2012).

ولضمان الصرامة والاتساق المنهجي، اعتمدتْ الدراسة على دليل ترميزٍ مُوحّدٍ ومَبنيّ بشكلٍ منهجيّ استنادًا إلى إجراءات نموذج (رِعاية CARES) الخمسة؛ حيث حُصِرَت الوحدات السردية والبصرية، وجُمِعت، ودُوِّنَت نظاميًّا عبر استمارة التحليل. وقد جُمِعت البيانات من خلال القراءة الفاحصة للنسخ الرقمية من الكوميكس (السرديات الحكائية البصرية) الثلاث المختارَة بنُسخها باللغة الإنجليزية. وقد تَضمّنت العملية استخراج الوحدات السردية والمشهدية، وفحص المسافات التأويلية البينية داخل النص الحكائي البصري (Barthes, 1977).

وتتمثّل عينة الدراسة في حكاياتٍ بصريةٍ من بيئات النزاع المسلّح العربية، وهي:

أوّلًا: مهمّة علياء: إنقاذ كتب العراق (*Alia's Mission: Saving the Books of Iraq*) للمبدع مارك ألان ستاماتي، التي تقدّم حكايةً بصريّةً توثيقيّةً تاريخيّةً مَلحميّةً إنسانيةً واقعيةً مُستوحاةً من سيرة علياء محمد باكر، أمينة المكتبة المركزية في البصرة إبان النزاع المسلّح الدولي عام 2003م (Stamaty, 2004, p 7, 36)؛ حيث يَستعرض العمل، عبر لغةٍ رسوميةٍ تَعتمد القلمَ الرصاص، كيف وَقَفَتْ هذه المرأة بمفردها لتواجه شدائد الحرب، مدفوعةً بوكالةٍ أخلاقيةٍ استثنائيةٍ؛ لحماية الذاكرة الثقافية الإنسانية من المَحْو الوجودي. وبمؤازرةٍ عفويةٍ وتضامنيةٍ من مجتمع الجِوار وأصحاب المحالّ المحيطة، نجحتْ علياء في نقل أكثر من (30 ألف) كتابٍ، وإنقاذها، وتأمينها بين بيتها ومطعم صديقها (أنَس) المجاور، قبل أنْ تلتهم النيران مبنى المكتبة المادي.

ثانيًا: لعبة السنونو: أنْ تَموت، تَرحل، تَعود (*A Game for Swallows: To Die, To Leave, To Return*) للمبدعة زينة أبي راشد، صدَرت في أصلها الفرنسي عام 2007م، ثم نُشِرت بترجمتها الإنجليزية في نسخةٍ موسّعةٍ عام 2012م (Abirached, 2012, p. 4)، وهي تُمثّل مذكراتٍ وسِيرةً ذاتيةً بصريةً، تَختزل تاريخ الحرب الداخلية اللبنانية عبر رصد ليلةٍ واحدةٍ حاسمةٍ ومُكَثّفةٍ من طفولتها في بيروت الشرقية عام 1984م. تتكامل أحداث الرواية داخل فضاء الشقّة الضيق؛ حيث

تعيش الطفلة (زينة) وشقيقها الأصغر ترقّبًا مريرًا بانتظار عودة والدَيهما العالِقَين في الشطر الآخر من المدينة؛ بسبب القصف ونيران القنّاصة. وفي ظلّ هذا المناخ المشحون، يَتوافد الجيران تِباعًا؛ للاحتماء بـ(الرُّدهة الداخلية) للشقة؛ باعتبارها الملاذَ الأكثرَ أمانًا في البِناية، يتحوّل هذا الحشد العفوي إلى مجتمعٍ تَضامنيٍّ مُؤقّتٍ، ومَلاذٍ دلاليٍّ حاضِنٍ، يَدفع ترويع الحرب وعشوائيَّتها بإعادة ابتكار الحياة اليومية من خلال ممارسات الطّهو التشاركي، ورواية القصص، وتمثيل المسرحيات، واللّعب؛ ممّا يَخلق واحةً وجدانيةً حاميةً، تَصون براءة الطفولة، وتَماسُك الكبار.

3. أنا أتذكّر بيروت (*I Remember Beirut*) لزينة أبي راشد، صدرت عام 2008م، وهي تأتي امتدادًا موضوعيًّا ونفسيًّا لسابقتها؛ حيث تعتمد على سردٍ مكانيٍّ مُتَشظٍّ، يُحاكي طبيعةَ ذكريات طفولتها ومُراهقتها المتشظّية في بيروت في الثمانينيّات. يُعيد العمل ترتيبَ جغرافيا الذاكرة المستَلَبة من خلال التقاط وتفكيك تفاصيل يوميةٍ حميميةٍ، تَكشف عن آلياتِ تكيّفِ الصغار مع واقعٍ غيرِ طبيعيٍّ، فرَضته الحرب، مع تَطبيعه؛ كتحويل شظايا القذائف الساخنة إلى موضوعاتٍ مألوفةٍ للّعب والجَمْع والتصنيف الإبداعيّ. كما تُبرِز الرواية الدورَ الوقائيّ والمؤسّسي الحاسِم للمدرسة والمعلّمات في توفير حواضن صمودٍ بيئيةٍ، تَضمن حدًّا أدنى من الاستقرار التربوي، والترميم النفسي للأطفال وسط ويلات الحصار، وانقسام المدينة.

ولتحقيق أهداف الدراسة والامتثال لمتطلباتها المنهجية، قُسّمت هذه الدراسة إلى مبحثين أساسيّين وخاتمة؛ حيث يَعتني المبحث الأول بتقديم نموذج (رِعاية CARES) البيداغوجي المبتَكَر، مُستَعرِضًا أدواته المنهجية، ومَصفوفاته التطبيقية والبَيانية، وكفاءته الإجرائية في فحص عينة الحكايات البصرية المدروسة. في حين يتناول المبحث الثاني التمثيلات السردية والبصرية للحرب في المتن المدروس مُبرِزًا آليات استنبات التكيّف والترميم الوجداني، لتَنتهي الدراسة بعرض النتائج العامة والتوصيات الكفيلة بتطوير أدب الأزمات الموجَّه للناشئة.

المبحث الأول: نموذج (رِعاية CARES) البيداغوجي المبتَكَر: الكفاءة الإجرائية والمصفوفات التطبيقية

أما ما يتصل بالتصنيف النقدي والأدبي لعينة الحكايات البصرية المدروسة، فهو على النحو الآتي (ينظر: الجدول رقم: 1):

الجدول رقم (1)

التصنيف النقدي والأدبي لعينة الحكايات البصرية المدروسة

العمل الأدبي الحكائي	التصنيف البنيوي العالمي التقليدي	التصنيف النقدي المعتمَد في هذه الدراسة	طبيعة الأنسجة السردية الحامية للطفل في المتن المدروس
مهمّة علياء، 2004م (Alia's Mission)	قصص كوميكس/ جرافيكية واقعية/ توثيق تاريخي للناشئة (Graphic Non-fiction)	حكاية بصرية توثيقية تاريخية (Historical & Documentary Visual Narrative) تنبثق من جنس الكوميكس والقصص الجرافيكية.	استنبات قِيَم الوَكالة والمواطَنة العالمية المسؤولة لدى الطفل من خلال الوحدات المشهدية، التي توثق حماية التراث الثقافي والذاكرة الجمعية.
لعبة السنونو، 2012م (A Game For Swallows)	مذكرات جرافيكية/ رواية جرافيكية سير-ذاتية (Graphic Memoir)	حكاية بصرية سير-ذاتية (Autobiographical Visual Narrative) تنبثق من جنس القصص الجرافيكية.	إعادة صياغة الوعي المكاني والمجتمعي (الرّدهة وتكاتف الجيران) بوصفها ملاذاتٍ دلاليةً حاضنةً؛ لتفكيك الشدائد التراكمية للحرب.
أنا أتذكّر بيروت، 2008م	مذكرات جرافيكية/	حكاية بصرية سير-ذاتية	شحن الذكريات والوحدات المشهدية

العمل الأدبي الحكائي	التصنيف البنيوي العالمي التقليدي	التصنيف النقدي المعتمَد في هذه الدراسة	طبيعة الأنسجة السردية الحامِية للطفل في المتن المدروس
مهمّة علياء، 2004م (Alia's Mission)	قصص كوميكس/ جرافيكية واقعية/ توثيق تاريخي للناشئة (Graphic Non-fiction)	حكاية بصرية توثيقية تاريخية (Historical & Documentary Visual Narrative) تنبثق من جنس الكوميكس والقصص الجرافيكية.	استنبات قِيَم الوَكالة والمواطَنة العالمية المسؤولة لدى الطفل من خلال الوحدات المشهدية، التي توثق حماية التراث الثقافي والذاكرة الجمعية.
(I Remember Beirut)	سيرة ذاتية مصورة (Graphic Memoir)	(Autobiographical Visual Narrative) تنبثق من جنس القصص الجرافيكية.	بأبعاد تفاعليةٍ تُشْرِك القارئ، وتُحوّل مخلّفات العنف إلى موضوعاتٍ للاستعادة التمكينية والترميم الذاتي.

وتتمثّل الأدوات البحثية المُمكِّنة للتحليل في الآتي:

1. **نموذج (رِعاية CARES):** وهو أداةٌ بيداغوجيةٌ ونقديةٌ من ابتكار الباحثة، تَرتكز على خمسة إجراءات (التّموضع المكانيّ، التعرّف على المشاعر، التّحفيز، التّقييم السلوكيّ، الدّعم والتمكين)، وتفصيلها فيما يأتي (يُنظر: الجدول رقم: 2):

الجدول رقم (2)

مصفوفة نموذج (رِعاية CARES) البيداغوجي

الإجراء باللغة العربية	الإجراء باللغة الإنجليزية (CARES)	الدلالة التربوية والحقوقية في بيئات النزاع المسلّح
التّموضُع المكانيّ	C-Contextualization	استنبات الوعي الجغرافي والحُدودي لدى الطفل، وتدريبه على فهم جغرافية أمانه، وحقوقه الإنسانية.
التعرّف على المشاعر	A-Affect Recognition	رصد نُدوب الذاكرة البصرية، ومَحْو الأمية العاطفية للطفل عبر تمثيل التعبيرات والوُجوه؛ لتَجاوز رُعب الشدائد التراكمية. وقد جاء التأسيس الإجرائي لمُكوّن التعرّف على المشاعر استنادًا إلى المُحدِّدات العِيادية لتشخيص اضطراب الفَقْد المُمتدّ (PGD)، وأعراض الصدمة الثنائية لدى الأطفال المعرّضين للحروب (Layne et al., 2025; Nikitenko, 2025).
التحفيز الأخلاقي	R-Reinforcement of Agency	تمكين الوكالة الأخلاقية والسردية المُجسَّدة لدى الطفل، وتحفيزه للتحوّل من دور الضحية السلبية إلى رُتبة صانع المعنى والتكيّف السردي.
التقييم السلوكي	E-Evaluation of Behavior	تفعيل التوازن الانعكاسي الأخلاقي لدى المتلقّي-الطفل من خلال مواقف تتطلّب خياراتٍ أخلاقيةً واعيةً ومسؤولةً وسط الفوضى.
الدعم والتمكين	S-Support & Empowerment	تفعيل شبكات الرعاية العلائقية، والتضامن الإنساني البديل، ودعم استقرار البيئات التعليمية والمؤسّسية الحاضِنة للطفل.

***تنويه منهجي:** تودّ الباحثة التأكيد على أنّ نموذج (رِعاية CARES) المقترح في هذه الدراسة هو إطارٌ تحليليٌّ ونقديٌّ بيداغوجيٌّ مُبتكَرٌ، مُخَصَّصٌ لتفكيك سرديات الأطفال البصرية وبنائها، وهو يختلف كليًّا في بِنيته الإجرائية واللفظية عن النماذج الإكلينيكية الميدانية الحامِلَة للاسم المختصر نفسه في حقل الخدمة الاجتماعية وإدارة الحالات العيادية (مثل: نموذج التنسيق والمناصَرة والدعم)؛ حيث صِيغَت أبعاد النموذج الحالي خصّيصًا؛ لاستنبات التكيُّف السردي والجمالي داخل بيئة الأدب البصري لبيئات النزاع المسلّح.

ولأجل فكّ الارتباط بين الفهم العفوي للتكيّف والمنظور الإجرائي المُمَنهج، تُؤصّل الدراسة الحالية لمفهوم التعزيز النَّشِط (Active Reinforcement) بوصفه آليةً بيداغوجيةً وحرَكيةً مُستمرّةً، تَشترِك فيها البنية الجمالية للحكاية البصرية مع الممارسة التطبيقية لنموذج (رِعاية CARES) (Layne et al., 2025)؛ فالتعزيز في هذا السياق لا يَقِف عند حدود الاستنتاج الذهني اللاحق، وإنما يُمثِّل عمليةً تشغيليةً مُبرمَجةً تَقودها أداة (رِعاية CARES) عبرَ مِحورِها الأوسط: التحفيز والتعزيز للوَكالة (R-Reinforcement of Agency)؛ حيث يَعمل السرد القصصي المصوَّر بنيةً تفاعليةً، تُعزّز بشكلٍ منظّمٍ ومنهجيّ قدرةَ الأطفال على ترميم ذواتهم، وصياغة بدائل وجدانيةٍ تَحميهم من التفتُّت الرّوحي (Veronese et al., 2024). ويتجاوز هذا المنظور الجوانب الإرشادية الجافّة ليصبح ممارسةً بيداغوجيةً نَشِطةً، تُعِيد هيكلةَ خبرات الألَم، وتُرسّخ لدى الطفل القارئ والشخصية معًا وعيًا إبستيميًّا فاعِلًا بقُدرتهما على صناعة المعنى، وتجاوز الشدائد التراكمية (Rousseau et al., 2004).

2. **نموذج لُوْنْدِي (Lundy Model) للمشاركة:** تَعتمد أدوات البحث في شقّها الإجرائي على إعادة توظيف مصفوفة أبعاد نموذج (Lundy Model) للمشاركة؛ لقياس قُدرة السرديات البصرية على مَنْح الطفل حقَّه في التعبير والشهادة السردية، بالاستناد إلى عناصر النموذج الأربعة: المساحة، والصوت، والجمهور، والتأثير (Lundy, 2007).
3. **المقاربة البلاغية والخطابية لبَارْت (Barthes' Semiotics):** وهو إطارٌ لتحليل علاقة النص بالصورة، خاصةً مفاهيم (الترسيخ) و(التناوب)؛ لفهم بناء المعنى الأخلاقي حكائيًّا (Barthes, 1977).

وتستند فرضية الدراسة التحليلية -هنا- إلى المخرجات الطولية الرصينة لدراسة (Veronese et al., 2026)، التي أثبتتْ إحصائيًّا -عبر نمذجة المعادلات الهيكلية لمَوجتَين زمنيَّتين- أنّ وكالة الطفل تَعمل حائطَ صدٍّ وقائيّ ضدّ أعراض الصدمة النفسية بشرط تفعيل دور الأمل والرضا عن الحياة بوصفها متغيّراتٍ وسيطةً حاسمةً.

وفي المقابل، تَسترشد هذه الدراسة بالنتائج التحذيرية المهمة لِـ(Veronese et al., 2024) من أنّ تفعيل الوكالة السلوكية المحضة للطفل في معزلٍ عن وسيطَي الأمل والرضا قد يَرتدّ سلبيًّا؛ إذ أظهرتْ النتائج أنّ غياب هذه الوسائط الوجدانية يَربط الوكالة مباشرةً بزيادة الاضطرابات السلوكية الخارجية، وتحديدًا مشكلات المَسْلك وفرط الحركة بدلالةٍ إحصائيّةٍ عاليةٍ $p < .05$. ومن هنا تَبرز الحاجة الملحّة إلى نموذج (رِعاية CARES) بوصفه إطارًا بيداغوجيًّا وجَماليًّا، يَحتضن وَكالة الطفل الأخلاقية، ويُوجّهها عبرَ مساراتٍ سرديةٍ آمنةٍ، تَضمن استثارةَ الأمل والتعافي الوجداني.

وتكشف التحليلات السردية والبيانية عن فاعِلية نموذج (رِعاية CARES) على النحو الآتي:

1/التكيّف بوصفه فعلًا ثقافيًّا مُؤسَّسيًّا: أظهرتْ (مهمّة علياء) أنّ إنقاذ أكثر من (30 ألف) كتابٍ هو فعلُ رعايةٍ عابرٍ للأجيال؛ يَحمي الذاكرةَ الجمعية، ويَمنح الطفل العراقي -على وجه الخصوص- شعورًا بالحقّ في التاريخ والمستقبل (Stamaty, 2004, p 11- 14, 23,34- 35).

2/إعادة تعريف الأمان المكاني: في (لعبة السّنونو)، نجح الأطفال في تحويل (الرُّدْهة) من مجرّد مَمَرٍّ إلى نظامٍ بيئيّ راعٍ، يَحمي الروابط الإنسانية (Abirached, 2012, p 43- 59, 66- 68, 72- 84, 115- 129).

3/الوَكالة الأخلاقية السردية: في (أنا أتذكر بيروت)، أثبت الأطفال أنّ جَمْعَ شظايا القذائف بوصفها لعبةً تحت رعاية الراشدين (جارهم السيد شكري) (Abirached, 2008, p. 39- 43) ليس تَطْبيعًا، وإنّما هو فعلٌ اتصاليٌّ حِكائيٌّ؛ لاستعادة السيطرة على أدوات العنف، وتحويلها إلى موضوعاتٍ للّعب.

4/كَسْر انحسار الأثَر الاتصالي: إذ كشَف التحليل أنّ السرديّات الحكائية البصرية، التي تُشرِك القارئ في سدّ الفراغات الحِكائية البَينية داخل اللوحة المشهدية، تُقلّل من شعوره بالعجز؛ ممّا يُحقّق حركيّةَ الاستجابة التبادليّة والمعاملة بالمِثْل (Reciprocity)، التي اشترطتها مقاربة (Noddings, 2013) لاكتمال فعل الرعاية. وبتحويل هذه المعطيات الاستكشافية إلى جداول ومصفوفات مُقنّنة، يَبرز الآتي (ينظر: الجدول رقم: 3):

الجدول رقم (3)

تطبيق نموذج (رِعاية CARES) على الحكايات البصرية الثلاث

الإجراء (رِعاية CARES)	الدلالة التربوية/الأخلاقية	نموذج من المتن	رقم الصفحة
التموضع المكاني(C) Contextualization	الوعي الجغرافي بالحقّ في الحِماية	خرائط زينة للحيّ الذي تعيش وسطه في بيروت، وخريطة رحلة اللجوء.	(Abirached, 2012, p 16-17, 24- 29; Abirached, 2008, p 11, 48- 49)
التعرّف على المشاعر (A) Affect Recognition	مَحْو الأُمّية العاطفية (ندوب الذاكرة)	الاقتباس الذي بدأت به الحكاية البصرية وتأسّستْ عليه: "لا شيءَ يُميّز الذكريات عن اللحظات العادية. وإنّما تُعرَف لاحقًا - فقط- مِن نُدوبها".	(Abirached, 2008, p. 6).
التحفيز(R) Reinforcement	الوكالة الأخلاقية السردية (الفِعل عبر الفن)	جَمْع شظايا القذائف وترتيبها بوصفها لُعبةً جماليّةً.	(Abirached, 2008, p 39-43)
التقييم السلوكي(E) Evaluation of Behavior	التوازن الانعكاسي والخيارات الصعبة	قرار علياء المخاطرة بحياتها؛ لنقل الكتب.	(Stamaty, 2004, p 16-31)
		قرار زينة وإعداد حقيبة ظهرها للرحيل القسري المفاجئ، مع إخفائها عن أخيها الصغير.	(Abirached, 2008, p. 44).
		تكاتف الزوج والأصدقاء والجيران وعموم أهل البصرة مع علياء؛ لإنقاذ الكتب؛ بسبب انتهاك حماية المكتبة، واستخدامها استخدامًا عسكريًّا.	(Stamaty, 2004, p. 23-35)
الدّعم والتمكين(S) Support & Empowerment	الرّعاية العلائقية (نودينجز)	تكاتف الجيران في ردهة المنزل طوال ليلةٍ كاملةٍ؛ طلبًا للأمان من القصف المسلّح والقنّاصة.	(Abirached, 2012, p. 144- 158)
		تكاتف إدارة المدرسة والكوادر التعليمية والمجتمع المحلي؛ لتوفير ملاذٍ آمنٍ لأطفال المدرسة في الليلة التي باتوا فيها في النادي الرياضي بوصفه ملجأً آمِنًا لحمايتهم؛ بسبب عدم أمان مدرسة الأطفال من الاستهداف المسلّح.	(Abirached, 2008, p 34-36).

يُمثّل الجدول رقم (3) تطبيقًا إجرائيًّا دقيقًا ومُقنّنًا لمصفوفة نموذج (رعاية CARES) البيداغوجيّ في المتن المدروس؛ إذ يَكشف تفكيك الوحدات المشهديّة والنصيّة في السرديات الحكائية البصرية الثلاث عن كفاءة النموذج الواضحة بوصفه أداةً نقديةً حُقوقيّةً قادِرةً على تحويل جماليات الحكاية إلى مساحاتٍ بيداغوجيّةٍ مألوفةٍ، تَمنح الطفل المتلقّي القدرةَ على استيعاب الفوضى، وحفظ الذاكرة الجمعية من خلال الأبعاد الإجرائية الخمسة؛ فعندما يرى الطفل في قصة (مهمّة علياء)، أو (لعبة السنونو)، أو (أنا أتذكّر بيروت) كيف يُجرَّم الاستهداف المسلّح للمكتبات، والبيوت، والمدارس، فإنّه يتعلّم مفهوم المواطَنة العالمية، والمسؤولية الإنسانية المتبادَلة في أوقات الكوارث والحروب.

الجدول رقم (4):

مصفوفة (وَكالة الطفل)

الشخصية	مستوى الوكالة	آلية التفعيل	النتيجة التربوية
علياء (البصرة)	مرتفع جدًّا	حماية التراث الثقافي	المواطَنة العالمية المسؤولية
زينة (لعبة السنونو)	مرتفع	البحث عن المفقودين	الانتظار النشط ومشاركة الجيران
زينة (أنا أتذكّر بيروت)	متوسط	تكاتف المجتمع والجيران	التضامن الاتصالي الحكائي

يكشف التحليل البنيوي التراكمي في الجدول رقم (4) عن تحوّلٍ بيداغوجيٍّ استثنائيٍّ في تمثيلات الطفولة داخل سرديات النزاع المسلّح؛ حيث تتجاوز الشخصيات الثلاث (علياء، وزينة-لعبة السنونو، وزينة-أنا أتذكر بيروت) النظرة العِيادية التقليدية التي تختزل الطفل في سياقات الحرب في قالب الضحية السلبية المُستَكِينة للواقع المأزوم، لتُقدّم -بدلًا من ذلك- نماذجَ حيّةً وفاعِلةً للمواطَنة والعدالة السردية. وتتجلى هذه الأبعاد التربوية العميقة عبر ثلاثة مساراتٍ إجرائيةٍ:

1/علياء (المواطَنة العالمية المسؤولة وحماية الهوية): تُسجّل شخصية (علياء) الذروة المطلقة في استقرار الوكالة الأخلاقية؛ حيث يَرتقي فعلها البطولي في حماية أكثر من (30 ألف) كتابٍ وتأمينها من دمار الآلة الحربية عبر خطة إجلاءٍ واعيةٍ ومنظمةٍ (Stamaty, 2004, p 15, 23- 31, 33- 35)، ليُصبح ممارسةً عمليةً عُليا للمواطَنة العالمية المسؤولة المحميّة بموجب المادة (27) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948م (United Nations, 1948)، مُبرهِنَةً على أنّ صَوْن الذاكرة المعرفية، وحِفظ الممتلكات الثقافية المَنقولة ضدّ عشوائية التدمير أو التوظيف العسكري وفق اتفاقية لاهاي لعام 1954م لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلّح (UNESCO, 1954)، هو خطّ الدفاع التربويّ والأخلاقي الأوّل ضدّ انحسار الأثر الحضاري للأُمم.

وبتحليل اعتماد رسم (مهمّة علياء) على ضرَبات قلم الرصاص الرّمادية فوق الصُّفْرة الباهتة، فإنّ تجريد العمل من الألوان الزاهية يُحاكي فكرة الأرشيف المحترِق أو الذاكرة المُهدَّدة بالزّوال؛ إذ يُشكّل اللون الرمادي فيها لونَ الرّماد والدّخان الذي يَلُفّ مدينةَ البصرة أثناء الحرب. وهذا التكنيك البَصري يَسلب الحربَ جاذبيّتها المثيرة، ويَضع القارئ في مسافةٍ جماليةٍ آمنةٍ تَمنع الترويعَ المباشِر، وتُشعِره -في الوقت نفسه- بهشاشة الورق والكُتب المُعرَّضة للفَناء الخاطِف؛ ممّا يَغدو -في جوهره- تجسيدًا لِنضال اليَد الإنسانية من أجل تَثبيت ملامح الوُجوه والتاريخ قبل أنْ يَبتلعها النِّسيان، أو يَمحوها العنف المسلّح.

2/زينة-لعبة السنونو (عدالةٌ سرديةٌ ضدّ التهميش): تُمثّل (زينة-لعبة السنونو) برُتبتها المرتفعة نموذجًا بليغًا في انتزاع الحقّ المَعرفي والشهادة على الفَقْد؛ فالبحث عن المفقودين والقَلَق بشأنهم (Abirached, 2012, p. 124- 149) ليس مجرد حركيةٍ دراميةٍ، وإنّما هو تفعيلٌ لأعلى مستويات العَدالة السردية (Narrative Justice) في تقاطعٍ منهجيٍّ مع القاعدة (117) من القانون الدولي الإنساني العُرفي للجنة الدولية للصليب الأحمر (Henckaerts & Doswald-Beck, 2005)، التي تَكفل قانونيًّا الحقّ في معرفة مصير المَفقودين، والكشف عن الحقيقة؛ ممّا يَدعم بيداغوجيًّا جهودَ الفعالية السردية ضدّ التغييب القسري للذاكرة الإنسانية في قصص الأطفال.

3/زينة-أنا أتذكّر بيروت (المواطَنة العلائقية والتضامن الاتصالي الحكائي): تتجلى حركيّة التكيّف السرديّة لدى (زينة-**أنا أتذكّر بيروت**) المتوسطة تكراريًّا في كونها حركيّةَ تكيّفٍ سرديّةً بينَ-ذاتيةٍ مُتجذّرةً في البيئة والمحيط الاجتماعي؛ حيث يُعيد تكاتف الجيران بناءَ حواضن الأمان الوجداني التي حطّمتها الحرب؛ حتى في حال هدَم القصف الجدار الفاصل بين مَحَلَّيْ تَصفيف الشعر المتجاوِرَين؛ أصبحت هذه الفجوة الناتجة عن التدمير مَلاذًا للمرور الآمِن والاحتماء من مخاطر العبور في

الشارع تحت نيران القنّاصة (Abirached, 2008, p 13- 38, 61-74)، مُقدِّمةً مفهومًا تربويًّا حديثًا حول المواطَنة العلائقية، التي ترى أنّ أمْن الفرد لا يَنفصل عن أمان المنظومة البيئية الحاضِنة المحيطة به.

بناءً على ما تقدّم؛ تُؤكّد الدراسة أنّ هذه الشخصيات الثلاث لا تُمثّل مجرد شُخُوصٍ روائيةٍ، فهي نماذج مرجعيّةٌ حيّةٌ، تَفتقر إليها المناهج العربية المعاصرة في بيئات الأزمات؛ فالمناهج الحالية بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الانتقال من بيداغوجيا التّلقين والوَصْم بالضعف، إلى تبنّي استراتيجياتٍ حيويّةٍ لدمج مفاهيم التوازن الانعكاسي الأخلاقي، والمسؤولية تجاه الآخر، وأنسنة النزاعات المسلّحة في الوعي الجَمْعي للناشئة، بما يَضمن بناءَ جيلٍ يَملك القدرة على المبادرة التنموية، وصناعة السلام، والامتثال الأخلاقي والقانوني وسط الشدائد التراكمية للحرب.

وفيما يتّصل بحلقة الرعاية السردية، فقد ظهر أنّ تكيّف الأطفال في عينة الدراسة ليس فعلًا بطوليًّا مَعزولًا، وإنّما هو نِتاجُ حاضنةٍ وجدانيةٍ راعِيةٍ؛ ممّا يَعكس الثقلَ السرديّ للجُهْد الجماعي التشاركي لإنقاذ الكُتب في (مهمّة علياء) (Stamaty, 2004, p. 16- 35)، وتكاتف الجيران في (لعبة السنونو) (Abirached, 2012, p. 144- 158)؛ ممّا يُبرهِن إجرائيًّا على مقاربة (Noddings, 2013) حول الرعاية العلائقية، وما تُنتجه الرابطة الناجحة بين (الرَّاعِي) (One-Caring) و(المَرْعِيّ) (Cared-For) من تماسكٍ في أوقات الأزمات.

وأمّا مُنحنى تصاعد الوكالة الأخلاقية، فقد بدأت الشخصيات بمستوياتِ وكالةٍ منخفضةٍ (مُعايَشة الشدائد في الفصول الأولى)، ثم تصاعَدت بوضوحٍ لِتَصل إلى ذروتها في النهايات من خلال أفعال سرديةٍ تمثيليةٍ، ومواقف أخلاقيةٍ حاسمة؛ تفصيلها على النحو الآتي:

زينة-أنا أتذكر بيروت وزينة-لعبة السنونو: يبدأ مَنحناهما من الصفر (مرحلة معايشة الشدائد وتلقّي الحدَث المأزوم)، ثم يَتصاعد تدريجيًّا مع تقدّم السّرد البَصري، وتطوّر الأحداث الحِكائية؛ ممّا يُثبت قدرة نموذج **(رِعاية CARES)** في كشف تحوّلهما من (ضحيّتَين) إلى (فاعِلَتَين أخلاقيّتَين) تمتلكان سُلْطَةً سرديّةً.

وأمّا **علياء**، فتُظهر انتقالًا واضحًا من (مرحلة تَلقّي الشدائد) (Stamaty, 2004, p 1- 20)، وهي تبدأ من مستوى مرتفعٍ، إلى (المبادِر الأخلاقي) (Stamaty, 2004, p 10- the end)؛ حيث تَصِل إلى الذروة سريعًا، وهو ما يُطابِق واقعَ شخصيتها؛ كونها (أمينةَ مكتبةٍ) مُبادِرةً منذ البداية. وعليه، سَجّلتْ (علياء) أعلى نسبةِ ثباتٍ في الوَكالة؛ نظرًا لدورها القيادي في حماية الذاكرة الجمعية حتى مع إصابتها بسكتةٍ دماغيةٍ (STROKE) (Stamaty, 2004, p 16- 35).

وبالعودة إلى تحليل مصفوفة فعالية إجراءات (رِعاية CARES)، فقد برز أنّ قوة السرديات الحكائية البصرية الخاصة ببيئات النزاع المسلّح العربية تركّز في التموضع المكاني (C: Contextualization)، يَليه الدّعم والتمكين (S: Support & Empowerment) المجتمعي؛ ممّا يُؤكّد تميّز السرديات الحكائية البصرية الخاصة ببيئات النزاع المسلّح العربية بالتوثيق المكاني الدقيق (مثل: خرائط بيروت)، والدعم المجتمعي القوي، وكذلك عُمق تحليل المكان بوصفه ملاذًا دلاليًّا حاضِنًا للترميم الوجداني، وبناء فضاء الأمان بيداغوجيًّا (Stamaty, 2004, p 23- 35 ; Abirached, 2012, p 16- 17, 24- 29, 43- 59, 63- 68, 72- 84; Abirached, 2008, p 11- 49, 61- 88)، وهذا -بدوره- يُعزّز قدرةَ الطفل على فهم جغرافيةِ أَمْنِه، والحقّ في الحِماية وفق المادتين (38) و(39) من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل 1989م.

وأمّا التعرّف على المشاعر (A: Affect Recognition)، فجاء في المرتبة الثالثة؛ ممّا يَعكس وُجود فجواتٍ في مَحْوِ الأُمّيّة العاطفية في بعض الوحدات المشهدية. في حين حلّ التحفيز (R: Reinforcement) بعدَه؛ ممّا يدلّ على حاجةِ السرديات الحكائية البصرية العربية الموجَّهة للناشئة إلى تكثيف الوحدات المشهدية البصرية، التي تُبرز الفاعِلية السردية والتمكينية

للطفل بوصفه صانعًا للتكيّف السردي، بدلًا من التركيز المفرط على تصوير أفعال الاستجابة العاطفية السلبية للحدَث المأزوم.

وفيما يخصّ التقييم السلوكي (E: Evaluation of Behavior)، فقد جاء في آخر المصفوفة، وهي نتيجةٌ واقعيةٌ؛ لأنّ التوازن الانعكاسي الأخلاقي غالبًا ما يكون مُضَمَّنًا، وليس صريحًا في أدب الأطفال بعمومه، ومنه السرديات الحكائية البصرية.

وعليه، تُثبت الكثافة التكرارية المرتفعة أنّ الفعل الاتصالي داخل الحكاية البصرية هو فعلٌ تضامنيٌّ علائقيٌّ بالدرجة الأولى؛ إذ إنّ العملية الاتصالية السردية تَنجح عندما تتحرّك في فضاء الرعاية المشتَرَكة؛ ممّا يُؤكّد أنّ الاستجابة الواعية للطفل ليست نتاج تلقٍ آليٍّ، وإنما هي نتيجةُ تفاعلٍ اتصاليٍّ ناضجٍ مع الأنسجة والملاذات الحاضِنة في السرديات الحكائية البصرية.

وخلاصةً لنتائج الجداول، تتجلى القيمة المضافة لتقاطع هذه المخرجات عبر ثلاثة محاور إستراتيجية:

المحور الأول: تفكيك بِنية التكيّف وتجاوز النزوع الفردي: كشفت النتائج تفوّقًا في كثافة فئات الرعاية العلائقية مقابل انخفاضٍ واضحٍ للفعل الفردي المستقل؛ وهي مفارقةٌ ميدانيةٌ تتناغم كليًّا مع ما ثبت عِياديًّا في التجربة العشوائية المَحكومة لِـ(Ferreira et al., 2025) من أنّ صياغة القصص التمكينية (Empowering Narratives) تتطلّب حواضن دعمٍ تشاركيةٍ، وسياقاتٍ علائقيةً متينةً؛ لترميم الذات، وتتكامل بنيويًّا مع المنظور التكاملي لِـ(Tsykhuliak et al., 2025) في تأكيد أنّ التكيّف مع صدمات الحروب يُمثّل عمليةَ تحوّلٍ متعدّدةَ الأبعاد، تَتجاوز التعافي الفردي المعزول لتَستنِد إلى قِيَم الاعتراف الاجتماعي، والتضامن المؤسسي والمدَني، ويتّسق مع مقاربة (Pennebaker et al., 1997) حول دور البيئة الحاضنة في صياغة لغة التكيّف السردي الجماعي. وتتقاطع هذه النتيجة حيويًّا مع مراجعة الأدبيات الفلسفية لأخلاقيات السرد.

المحور الثاني: هندسة الوكالة الأخلاقية وتحقيق العدالة السردية

الشكل (1)

مُنحنى تصاعد الوكالة الأخلاقية

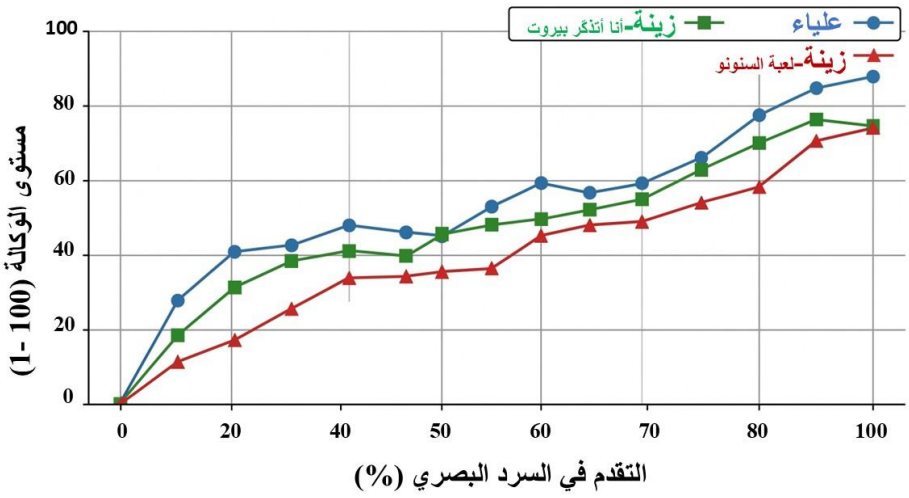

الشكل (١)

تَدعم نظريات الوكالة المتصاعِدة منحنى الصعود التدريجي (ينظر: الشكل رقم: 1) لشخصيّتَي (زينة-لعبة السنونو، وزينة-أنا أتذكر بيروت)، وُصولًا إلى استقرار شخصية (علياء) في الذروة المطلَقة. وتُعزّز هذه الهندسة الخطّية فرضية الدراسة بأنّ الطفل في السرديات الحكائية البصرية المعاصرة، يَنتقل حركيًّا من مُربّع معايشة الشدائد والاستجابة الانفعالية السلبية إلى مربع المبادرة الأخلاقية والمسؤولية التنموية والمدَنية، اتّساقًا مع المقاربة النظرية لـ(Todres & Higinbotham, 2016) في قدرة الأدب على بناء الوعي الحقوقي والسلوكي المستقلّ للناشئة.

ويتجلّى تميّز شخصية (علياء) في كَوْن فعلها الحكائيّ يُمثّل التطبيق العَملي الأسمى للمواطَنة العالمية المسؤولة عبر حماية الذاكرة الثقافية والتراث غير المادّي للإنسانية، في حين يُمثّل الصعود التدريجي لـ(زينة-لعبة السنونو، وزينة-أنا أتذكر بيروت) ممارسةً حيّةً للعدالة السردية المتمثّلة في انتزاع الحقّ المعرفيّ في الشهادة وإعادة صياغة التاريخ الشخصي بوعيٍ ذاتيٍّ مُستقلٍ (Abirached, 2012, p 191- 219; Abirached, 2008, p 11-92)، وحين ظهر في (أنا أتذكّر بيروت) كسرٌ في الذاكرة بفَقْد التاريخ الدقيق لتدمير السُّوْر المحاذي لشارع (يوسف سمعاني) المقابِل لبيت عائلة (زينة)، تزامَن تنشيط الذاكرة بصدمة اكتشاف أنّ الجهة التي خلْف السّور تحمل اسم الشارع نفسه ورقمه (Abirached, 2008, p 65- 76)، وهي صدمةٌ إيجابيةٌ تُعزّز شعورَي الأمل والرضا.

المحور الثالث: كفاءة الأبعاد الإجرائية للملاذات الدلالية عبر نموذج (رِعاية CARES): تُظهر نتائج تطبيق نموذج (رِعاية CARES) على عينة الدراسة نجاعةً بارزةً لإجراء (التموضع المكاني) مُتفوّقًا على إجراء (التعرّف على المشاعر). وعليه، فإنّ هذه الدراسة تَسُدّ الفجوة التربوية والحُقوقية الحادّة ببناء نموذج (رِعاية CARES)، الذي يُثبت أنّ ربط (التموضع المكاني) بالمسؤولية القانونية والتربوية والعلائقية هو المحرّك الأساسي لتوفير الأمان النفسي للناشئة (Stamaty, 2004, p 11-14, 23- 35; Abirached, 2012, p. 43- 59; Abirached, 2008, p 77- 87).

المبحث الثاني: التمثيلات السردية والبصرية للحرب وآليات استنبات التكيف في عينة الدراسة

1/تمثيلات الحرب في الحكايات البصرية وتعزيز تكيّف الأطفال مع شدائدها التراكمية

تكشف التمثيلات السردية في السرديات الحكائية البصرية الخاصة ببيئات النزاع المسلّح العربية، وتحديدًا في أعمال مارك ألان ستاماتي وزينة أبي راشد، عن تحوّلٍ جذريٍّ في مفهوم التكيّف السردي؛ حيث لم يَعُد فِعْلَ خِذلانٍ وانهزامٍ، وإنّما تحوّل إلى أخلاقياتِ رعايةٍ يوميةٍ، يَهدف إلى الحفاظ على النواة الإنسانية وسْط الدمار (Stamaty, 2004, p 11-14, 16-19, 23- 35; Abirached, 2012, p 63- 65, 72- 84, 91- 93, 95, 98- 99; Abirached, 2008, p 11- 95). ويسعى هذا التحليل إلى تعميق فهم كيفية تشكيل هذه التمثيلات لـ(مَناعةٍ تربويّةٍ) لدى الطفل القارئ من خلال موازنةٍ دقيقةٍ بين فظاعة الحرب والمسؤولية السردية تجاه (المَرْعِيّ)؛ أي: الطّفل بوصفه شخصيّةً داخل الحكاية البَصَرية، والطّفل بوصفه قارِئًا لها.

في السردية الحكائية البصرية (لعبة السنونو)، برزَ التحوّل المكاني بوصفه أقوى تجلّيات التكيّف السردية والأخلاقية؛ حيث إنّ تقلُّص العالم المادي ليس هزيمةً، وإنما هو إستراتيجيةُ بقاءٍ تربويةٍ بامتياز (Abirached, 2012, p 43- 59, 66- 68, 72- 84). ويُجسّد انتقال العائلة والجيران للعيش في (الرُّدْهة) المفهومَ الفلسفي لِـ(Noddings, 2013) في تحويل العلاقات الحميمية القريبة إلى فضاءٍ حامٍ؛ حيث تحوّل هذا المَمَرّ الضيّق إلى جغرافيا عاطفيةٍ بديلةٍ، ومَلاذٍ مستقرٍّ، يُمارِس فيه الصغار والكبار طقوسَ الحياة اليومية التّشاركية؛ من: التعليم، واللّعِب، والطّهو التشاركي، واحتساء القهوة (Abirached, 2012, p 44- 48, 50- 59, 72- 74, 78- 83, 125- 149).

لقد برَز من خلال تحليل النتائج أنّ القوى الدافعة للتكيّف في السرد، تَنبع من الرعاية العلائقية وتكاتف الجيران (مثل: أنهالا، والسيد شُكري، والسيد آرنست)؛ ممّا يُحوّل المَسْكَن من هَدَفٍ عسكريّ مُحْتَمَلٍ إلى مساحةٍ تأويليةٍ حاضِنةٍ للترميم الذاتي (Abirached, 2012, p 144- 158). ويَرتكز هذا الأمان داخلَ الملاذ المؤقت على بُعدَين: جماليٍّ ونفسيّ؛ إذ لَفَتَتْ (Szép, 2014) الانتباهَ إلى أنّ الانتظام البنيوي الصارم، وتكرار اللوحات المتشابهة هندسيًّا، يَمنحان المتلقّي حالةً من المؤانَسة والرّفقة الهندسيّة (Geometric Companionship)، وهي آليّةٌ دفاعيةٌ، تَفرِض النظام الإنساني لمواجهة عشوائية الخراب الخارجي.

ويَتكامل هذا الترتيب الهيكلي مع المقاربة النظرية لِـ(Kemp, 2017) حول الممارسات البَيْرِيكيّة (Perecquian Practice) المُتمثّلة في التعلُّق الواعِي بالطقوس اليومية الصغيرة؛ مثل: خَبْز (كعكة الصّفوف)، وقراءة مسرحية (سيرانو دي برجراك) (1897) (Abirached, 2012, p 44- 48, 72- 74, 78- 83)؛ ممّا يَمنح الأطفال مرساةً للاستقرار العاطفي، تَقِيهم شدائدَ انتظار المجهول.

وتُثبت دراسة (Kemp, 2017) أنّ هذه التجارب التشاركية والطقوس البيتية تُعِيد صياغةَ المكان -تحديدًا (الرُّدْهة)- ليتحوّل من مَسرحٍ مُهدَّدٍ بالخراب المادي، وعشوائية القصف الخارجي إلى مساحةٍ إنسانيةٍ دافئةٍ، وملاذٍ آمنٍ للترميم الوجداني. ويدخل هذا التحويل فيما أسماه مرتاض (Martad, 1998, p 124- 125) "النشاط الحَيْزِيّ"؛ حيث ولّد تفاعلهم العلائقي، وتداولهم المستمر للحكايات الدافئة، وطقوسهم اليومية حركةً وجوديةً مستمرةً، انبثق منها حيّز أمانٍ مُتّسعٌ وصلْبٌ. إنّ هذا التفاعل الحَيْزِيّ النّشِط هو المحرِّك الفعلي لإجراء (التموضع المكاني C) في نموذج (رِعاية CARES)؛ حيث طوّع الأطفال جغرافيا الخوف؛ ليُعيدوا تأسيسَها بالخيال واللعب حيزًا بيئيًّا فاعِلًا وراعِيًا، يَضمن تماسُك بنيتهم الوجدانية ورموز أمانهم الداخلي تحت مخاطر القصف.

أمّا من منظور القانون الدولي الإنساني، فتعد هذه التمثيلات البصرية شهادةً أخلاقيّةً وبلاغيةً ضدّ انتهاك مبدأ (التمييز) العسكري؛ ففي حين يَستهدف القصفُ البنيةَ التحتيةَ المادية، تُعِيد السردية الحكائية البصرية تمثيلَ رُعب الصدمة وفضحه؛ لتُعيد تعريف الفضاءات المدنيّة –المكتبة في (مهمّة علياء)، والبيت في (لعبة السنونو)، والمدرسة في (أنا أتذكّر بيروت)- بوصفها حُصونًا للذاكرة الإنسانية، التي لا تُقْهَر. يُضاف إلى ذلك أنّ التواصل والتوالُد الحَيْزِيّ للأماكن (Martad, 1998, p 124- 125, 136- 137)، كتداخل أحياز البيوت بالمطعم بالمكتبة في البصرة، وتداخل محطّات اللّجوء المتعرّجة بين الأرض والبحر والسماء، أبرزَ تمازُجَ هذه الأماكن أو الأحياز مع التفاعل العلائقيّ الحميم؛ لصناعة ملاذاتٍ آمنة للروح الإنسانية، وللذاكرة الثقافية.

الشكل (2)

سعادة شقيق (زينة) الأصغر وقد جمع شظايا جديدة بعد عودتهم إلى بيروت وقد عَمَّها الخَراب (Abirached, 2008, p. 82)

***تنويه: جميع حقوق الملكية الفكرية ورسوم اللوحة محفوظة للمؤلف والناشر الأصلي، وإنما أُدرج هذا الشكل هنا -والأشكال اللاحقة- استنادًا إلى مبدأ الاستخدام العادل (Fair Use)؛ لأغراض الاستشهاد العلمي، والتحليل النقدي البيداغوجي البحت في سياق البحث الأكاديمي فقط.**

ويتجلّى هذا البُعد تربويًّا في (أنا أتذكّر بيروت) بوضوح؛ حيث يُحوّل شقيقُ (زينة) الأصغر شظايا القذائف الحارقة والحادّة إلى مجموعاتٍ لِلّعبِ والجَمْع، والاستمرار في الجمع بعد الرحيل، ثم العودة إلى بيروت التي كان يَعمّها الخراب (Abirached, 2008, p 39-53, 80- 82). فيُمارِس وسيط الحكاية البصرية التعزيز النشِط عبر تجاوزه عرض فظائع الصدمة نحو تقديم بنًى تفاعليةٍ تُشرِك المتلقّي، وتَدعم توازنه المعرفي (Szép, 2014)؛ وهو ما يَبرز في سيميائية تدوير شظايا القذائف إلى ألعاب في (أنا أتذكّر بيروت) بوصفه آليةً فنيةً تُخرِجه من مربّع الاستجابة الوجدانية السلبية إلى مربّع الفاعِلية والتّمكين (Veronese et al., 2024).

ولا يُمثّل هذا المَسلك تَطبيعًا فَجًّا للعُنف، وإنّما هو فِعْلُ استعادةٍ فاعليةٍ إبستيميةٍ واعيةٍ، يُعِيدُ الطفلُ من خلاله تَسميةَ أدوات الموت مُحوِّلًا إيّاها إلى موضوعاتٍ مَألُوفَةٍ، تَقَعُ تحتَ طائلة سيطرته التخيّلية؛ ليتحول هذا التدوير الرمزي لملامح الخراب إلى آليةٍ إبستيميةٍ واعِيةٍ لإعادةِ تأطير شظايا الحرب في قالب ألعابٍ ومجموعاتٍ تذكاريةٍ آمِنةٍ؛ تتطابَق في جوهرها مع المنظور السردي المعرفي لِـ(De Muijnck, 2022) في أنّ حكايةَ الذات تَملك القدرة على إعادة صهر الأحداث العشوائية والمَعزولة، وإعادة إنتاجها داخل خطٍّ حكائيٍّ مُتَماسكٍ ذي دلالةٍ حاميةٍ، ويتوافَق إجرائيًّا مع غايات دراسة (Ferreira et al., 2025) في تتبّع تطوّر التماسك والاتساق السردي (Narrative Coherence) بوصفه مُحدِّدًا أساسيًّا لبناء الهوية، وتوليد المعنى وسط ركام الفواجِع. وهو ما يَتطابق مع التفسير العِيادي لِـ(Veronese et al., 2024) في أنّ فِعْل اللّعب وإعادة التدوير الرمزي يُمثّلان آليةً دفاعيةً نشِطةً لإعادة بناء العالم المُمَزّق، وتحقيق الترميم الحكائي، والوعي الاتصالي الفاعِل، مُستنِدًا إلى قوّة الروابط المجتمعية المتينة، التي تَحمي الطفل من التحوّل إلى ضحيةٍ سلبيةٍ عاجزةٍ.

وتُبرهِن دراسة (Atieh, 2025) على كفاءة هذا الجَمْع البَصَريّ للتذكارات (Visual Collecting) على أنّه استجابةٌ تشخيصيّةٌ لأزمة الحرب، مُستخدِمةً آليّة إزالةِ الأُلْفة الإبستيمية (Epistemic De/familiarization)؛ لتَمكين الطفل من تطبيع الواقع الصّادِم، وقبُوله شرطًا للبقاء؛ حيث تَتزامن أعيادُ الميلاد مع التفجيرات (Abirached, 2008, p. 38)، وتتحوّل حافلاتُ المدارس إلى مَرْكَباتٍ نائيةٍ، لا يُمكِن الوُصول إليها (Abirached, 2008, p 11- 12, 33- 37)، وتُستَعمل النظارات الشمسية بدَلًا من واقياتِ السياراتِ المحطّمة (Abirached, 2008, p. 9)؛ ممّا يَمنح الطفل استقلاليةً تفسيريةً تُخضِع أدوات الدمار لوعيِه الخاص. ويتّسق هذا الصعود التدريجي للوكالة مع انتقال الشخصيات من مستويات العَجْز العالية عند تلقّي الحدَث المأزوم إلى ذروة المبادرة الأخلاقية، والقدرة على إنتاج المعنى وسْط الفوضى (Abirached, 2008, p. 6).

وفي سياقٍ مُوازٍ، يتّخذ التكيّف في (مهمّة علياء) صبغةَ المسؤولية الثقافية المؤسَّسيّة، التي تُؤدّي فِعلًا من أفعال الرعاية العابِرة للأجيال، مُتَجاوِزًا البقاءَ الجسديّ المَحْض إلى صيانة الحقّ في التاريخ والذاكرة الثقافية (Stamaty, 2004, p. 23- 27, 31- 35).

الشكل (3):

تناقُل المجتمع المحلّي في البصرة خبرَ احتراق المكتبة ومبادرة (علياء) لإنقاذ الكُتب، وتحفيزهم الذاتي للإسهام في ذلك (Stamaty, 2004, p. 25)

وتَظهر شخصية (علياء) -هنا- بوصفها رمزًا لـ(الأُمّ الكَونيّة) (يُنظَر: الشكل رقم 3)، التي تَحمي المعرفة الإنسانية، وتَصون الذاكرة الحضارية، كَما تَحمي أطفالَها؛ ممّا يَغرس في وعي الطفل القارئ قِيَم المواطَنة العالمية المسؤولة. ويُؤكّد هذا

التمثيل البصري لشخصية (علياء) على الدور المحوري والتمكيني للمرأة في حماية النسيج الثقافي، وصيانة السلام الأهلي، وحفظ الهوية التاريخية في مناطق النزاع المسلّح، بما يَتطابق تمامًا مع المبادئ التوجيهية الحاكِمة لقرار مجلس الأمن الدولي رقم (1325) لعام 2000م بشأن المرأة والسلام والأمن (United Nations Security Council, 2000)؛ وهو ما يَكسر طوقَ الانحسار الاتصالي، ويُحيل الضحية المفترَضة إلى صانعةٍ للتاريخ، ويَدعم -كذلك- الأبعاد الحقوقية لنموذج (Lundy, 2007) في نقل الذات المأزومة من مربّع التلقّي السلبيّ إلى رُتبة الشريك الفاعِل في الشهادة وصناعة المستقبل.

2/نموذج أدبي مُبتكر لتعزيز تكيّف الأطفال مع الشدائد التراكمية للحرب

يُمثّل نموذج (رِعاية CARES) تحوّلًا بيداغوجيًّا جذريًّا في كيفية توظيف الكوميكس والسرديات الحكائية البصرية لمعالجة شدائد الحرب التراكمية؛ فهي تنقلنا من العِيادة الإكلينيكية التقليدية، التي تَصِمُ الطفلَ بالمرض، إلى فضاء الرعاية، الذي يَمنحه المسؤولية والوكالة. هذا النموذج لا يَعمل بوصفه دليلًا فنّيًّا فحسب، وإنّما بوصفه إطارَ عملٍ تربويٍّ حقوقيٍّ، يَدمج فلسفة (Noddings, 2013) عن الرعاية العلائقية بمبادئ القانون الدولي الإنساني وقواعده؛ لِيَخلُقَ بيئةً بيداغوجيّةً حامِيةً وتَمكينيّةً متكاملةً.

وبما أنّ نتائج تنفيذ نموذج (رِعاية CARES) قد كشفتْ عن كفاءةٍ عاليةٍ في محورين حيويّين: (التموضع المكاني)، و(الدعم والتمكين)، فإنّ القوة الجوهرية للنموذج تكمن في قدرته على تفعيل مفهوم المعاملة بالمِثْل، المستَلهم من (Noddings, 2013)؛ فالمبدِع بوصفه راعيًا سرديًّا، يُصمّم الحكاية البصرية بطريقةٍ تُحفّز القارئ-الطفل على الاستجابة النشطة والتفاعل الأخلاقي المستقلّ. ويتجلّى ذلك في المسافات التأويلية البَينية، التي تُحفّز التوازن الانعكاسي الأخلاقي وفق المنظور النظري لِـ**(Frank, 2010)**؛ حيث يُتيح هذا الإطار التعامل مع الكوميكس بوصفه مُختبرًا أخلاقيًّا يَتدرّب فيه الطفل على الحِكمة والمسؤولية تجاهَ الآخر؛ ممّا يُخرِجه من سياق المتلقّي السلبي إلى رتبة الشريك الفاعل في إنتاج المعنى والشهادة على العصر؛ تفعيلًا للمقاصد الحقوقية التي أصّلَت لها مقاربة (Lundy, 2007).

ويُشدّد نموذج (رِعاية CARES) المبتكَر على إجراء التعرّف على المشاعر (Affect Recognition)؛ حيث يرى أنّ حركيّة التكيّف السرديّة الحقيقية لا تتحقّق بكَبْت الألَم، وإنّما بالاستدلال التعبيري والمكاشَفة الحِكَائيّة عنه. ويتجلّى ذلك سيكولوجيًّا عند معالجة النص لمفهوم (عُقدة ذَنْب الناجي)؛ وذلك حين تُفصِح (زينة) عن أزمتها الوجودية المتمثّلة في اضطرارها للانفصال عن فضاء الأسرة الممتدّة والمجتمع بالانتقال إلى باريس؛ إذ تُلخّص اللوحات المشهدية ذروة مخاوفها النفسية الكامنة في النجاة الفردية المستقلّة، مقابل بقاء أحبّتها تحت تهديد الموت الداهِم في المكان الأمّ (Abirached, 2008, p 6, 88-92). وتكشف السردية الحكائية البصرية، بقدرتها على تحويل المشاعر غير المرئية إلى عناصر تعبيرية حكائية (مثل: ملامح التوجُّس وتعبيرات الوُجوه)، عن مساعدة الطفل على تسمية التجربة المأزومة، وتفكيكها بطريقةٍ آمنة (Davies & Rifkind, 2020).

كما أنّ إجراء التحفيز الأخلاقي يَعتمد على الوكالة الأخلاقية السردية المُجسَّدة؛ أي: قُدرة الطفل على استخدام الفنّ واللّعِب؛ لإعادة بِناء عالمه (Veronese et al., 2024). ويُوضّح مُنحنى تَصاعد الوكالة، أنّ (علياء) سجّلتْ أعلى مستوى استقرار في الوكالة؛ ممّا يُثبت أنّ نموذج (رِعاية CARES) يَنجح بشكلٍ خاصٍّ عندما يُربَط الفعلُ الفرديّ بالمسؤولية المجتمعيّة الكُبرى (Stamaty, 2004, p. 11- 14, 16- 19, 23- 35).

أما النتيجة الأكثر حاجةً للعناية، فهي الفجوة في إجراء التقييم السلوكي، الذي كشف التحليل أنّ السرديات البصرية لبيئات النزاع المسلّح العربية تحتاج إلى تطوير مشاهدَ تتضمّن خياراتٍ أخلاقيّةً صعبةً. وتتفق هذه الحاجة مع

المنظور البيداغوجي لِ(Walter, 1993)، التي تؤكد ضرورة استخدام أدب الأزمات لمساعدة الأطفال على تفكيك القضايا المعقدّة المرتبِطة بالحرب، وبناء خياراتٍ سلوكيةٍ واعيةٍ بدلًا من اختزالها في قوالب وعظيّةٍ ومُبسّطةٍ. وعليه، يَقترح نموذج (رِعاية CARES) تقديمَ نهاياتٍ مسؤولةٍ، تُعزّز التفكير الناقِد بدلًا من النهايات السعيدة التقليدية.

وبناءً على مصفوفة (وَكالة الطفل) المُصمَّمة في هذا البحث (ينظر: الجدول رقم: 3)، يُثبت نموذج (رِعاية CARES) صلاحيَّته بوصفه مُحرِّكًا للترميم الحكائي والوعي الاتصالي التمكيني؛ حيث يُوفّر بيداغوجيا رعايةٍ قادرةٍ على إعادة بناء الأمان الوجداني، مُحوِّلًا أثرَ العنف إلى مُحفّزٍ للمواطَنة العالمية والمسؤولية تجاه الآخر. وعليه، يبدو أنّ هذا الإطار المبتكَر يُمثّل ضمانةً أكاديميةً وتربويةً لِخَلْقِ سردياتٍ حكائيةٍ بصريةٍ عربيّةٍ، تُوازِن بين الصدق التاريخي والحماية النفسية للناشئة في أكثر بقاع الأرض توتّرًا (Veronese et al., 2024). ويُثبِت هذا الترابط تجريبيًّا أنّ تعزيز الوكالة الأخلاقية عبر وسائط التعبير البصَرية يَعمل حائطَ صدٍّ وقائيًّا يُنشّط عواملَ الأمل والرضا عن الحياة بوصفها مُتغيّراتٍ وسيطةً حاسِمةً للوقاية من تداعيات الشدائد التراكمية واضطراباتها النفسية (Veronese et al., 2026).

كما تبرز فاعلية الحواضن المؤسسية في دعم هذا التكيّف السرديّ؛ إذ يُؤكد تحليل (Al Dhahab & Atieh, 2025) على الدّور المركزي والوقائي، الذي تَلعبه المدرَسة والمعلّمُون في (أنا أتذكر بيروت)؛ فبالرغم من تعثّر حركة الحافلات المدرسية والتهديد الميداني، يَنجح تكاتف إدارة المدرسة والكوادر التعليمية والمجتمع المحلّي في تقديم بيئةٍ مُستقرّةٍ تَمنح الدعم التعليمي والنفسي للطلّاب؛ ممّا يُثبت أنّ استعادةَ التوازن والفاعلية الإبستيمية للطفل لا تقوم على الروابط الأُسْرية الطبيعية فحسب، وإنّما على بِنًى مُؤسّسيةٍ داعِمةٍ، تُمثّل ركائزَ مرِنةً للأمل والرضا ضمن نموذج (رِعاية CARES).

وتُتوّج الحركية الحكائية البصرية في خاتمة (مهمّة علياء) وقد انتقلت إلى مرحلة إعادة إعمار المكتبة وهي تتعامل بكل سعادةٍ ورضًا وحبٍّ وأملٍ وهدوءٍ وثقةٍ مع العمّال الذين يَكدحون -سَعِيدين- لتحقيق ذلك؛ لأنها تراهم أبطالًا يُسهِمون في حماية ذاكرة الأجيال وهويّتهم، ومنع تكرار حَدَث تدمير مكتبة بغداد، الذي أرّقها منذ طفولتها، وتَمثّل تحدّيًا عنيفًا أمامها وهي في مرحلةٍ متقدّمةٍ من العمر، وتحت ضغوط نزاعٍ مسلّحٍ نشِطٍ وداهِمٍ (Stamaty, 2004, p 34- 35).

الشكل (4)

(زينة) وهي تواجه هواجسها: هل ستتعرف عليها جدّتها بعد كلّ هذا الشّتات وقد طعَنتْ في السنّ؟ حيث يغلب البياض على اللوحة المشهدية (Abirached, 2012, p. 196)، مقابل لوحة مشهدية لأوقات التكاتف في الردهة تحت نيران الانفجارات والقصف؛ حيث يغلب عليها السواد الداكن (Abirached, 2012, p. 112).

كما تبرز فاعلية الحركية الحكائية البصرية في خاتمة (لعبة السنونو) بنسختها الموسَّعة؛ حيث تَظهر الكاتبة في باريس (فبراير 2020) (Abirached, 2012, p 191- 219) وهي عائدةٌ بالطائرة إلى بيروت لزيارة جدتها، وغارقةٌ في مشاعرها وتوقّعاتها الحميمية.

لا تمثّل هذه العودة مجرد حدثٍ عابرٍ، وإنّما هي الإغلاق الجمالي الأسمى لشفرة العنوان الفرعي للحكاية البصرية: "أنْ تَموت، ترَحل، تَعود"؛ حيث يَكتمل ارتحال طيور السنونو بالعودة إلى حواضن الرعاية الأولى المتمثّلة في الجَدّة (الرّاعي الأكبر والملهِم الأوّل للحكاية) (ينظر: الشكل رقم: 4). كما تُؤكد هذه الخاتمة فرضية الدراسة في أنّ بيروت-المكان، المَهْد الأوّل قد أُعيد بناؤها في وعي الطفلة البالِغة بوصفها فضاءً جسديًّا مُعاشًا، ومَلاذًا دلاليًّا حاضِنًا، يَتجاوز الحدود الجغرافية والزمنية للحقبة الحَرِجَة؛ ليصون البقاء الأخلاقي والترميم الوجداني عابرًا للأجيال والمسافات.

وأمّا في خاتمة (أنا أتذكّر بيروت)، فتَظهر الكاتبة في باريس عام 2008م، وهي تغطّ في النوم تحت البطانية، في حين يبدو شقيقها الأصغر مرعوبًا من صوت الرعد والعواصف المَطرية بدلالة أصابعه الضاغِطة على أطراف البطانية؛ لأنّها - بالنسبة لوَعيه المصدوم- ليست سوى أصوات قنابلٍ وتفجيراتٍ، أعادت إحياءَ شدائد الحرب التراكمية في ذاكرته. ومع هذا، يتدخّل والدُهما فورًا؛ ليُغطّيهما، ويُحيط شقيقَها بذراعَيه؛ ليمنحه تأكيدَ الأمان في المكان الجديد (Abirached, 2008, p. 88). وتُجادل الدراسة بأنّ هذا المشهد البصري الأخير يُمثل التجسيد البيداغوجي الأسمى لمفهوم (Noddings, 2013) حول الرعاية العلائقية الحيّة؛ حيث يَرتدّ الوالد هنا فاعِلًا راعِيًا يُمارس أعلى درجات الاستغراق والانتباه الواعي (Engrossment) والإزاحة الدافعية (Motivational/Displacement) لمخاوف طفله المَرْعِيّ، مُحوِّلًا جسدَه إلى حاضنة أمانٍ وجدانيٍّ بديلةٍ، تَمتصّ شظايا الصدمة العابرة للحدود، وتَكسر طوقَ الترويع.

ولتسهيل فهم كيفية توظيف هذه السرديات الحكائية البصرية لاستراتيجيات التكيّف والترميم الوجداني، يَعرض الجدول التالي (يُنظر: الجدول رقم: 5) مُقارنةً هيكليّةً مَبنيّةً على تَداخل أبعاد نموذج (رِعاية CARES) مع الأدوات الجمالية السردية للأعمال المدروسة:

الجدول (5)

مُقارنةٌ هيكليّةٌ مبنيّةٌ على تَداخل أبعاد نموذج (رِعاية CARES) مع الأدوات الجمالية السردية للأعمال المدروسة

العمل السردي الحكائي البصري والمؤلفة	البعد الرئيس المفعَّل في نموذج (رِعاية CARES)	الإستراتيجية البصرية والجمالية المستخدَمة في العمل السردي الحكائي البصري	مظهر حركية التكيّف السردية لدى الشخصية ومُجتمعها المحيط
مهمة علياء: إنقاذ كتب العراق (Stamaty, 2004)	• (C) التموضع المكاني • (A) التعرف على المشاعر • (R) التحفيز الأخلاقي • (S) الدعم والتمكين • (E) التقييم السلوكي	لوحاتٌ بقلم الرصاص الخشن على خلفية ورق باهتة تميل للصفرة، وتوظيفُ شخصيّةٍ رمزيّةٍ مُحبَّبةٍ، عَرف القارئُ الخيط الرابط بين طفولتها وحاضِرها؛ لأنها تعيشُ تحقيق حلمها (Stamaty, 2004, p 7- 12)؛ لمخاطبة القارئ الشاب، وتبسيط معاني الشدائد التراكمية من خلال ربطها بنظائرها التاريخية التي مسّت هويّة الأُمّة كاملة (Stamaty, 2004, p 11- 14, 23, 25- 26, 32).	الانتقال من العَجْز المفروض إلى قيادة مبادرةٍ أهليّةٍ فاعِلةٍ؛ لحِماية التراث والذاكرة الوطنية من الفناء المادي والمعنوي.
لعبة السنونو: أنْ	• (C) التموضع المكاني	التكرار الهندسي المتناظِر للوحات المشهدية	الاحتماء بمُجتمع الجيران بوصفهم عائلةً

العمل السردي الحكائي البصري والمؤلفة	البعد الرئيس المفعَّل في نموذج (رِعاية CARES)	الإستراتيجية البصرية والجمالية المستخدَمة في العمل السردي الحكائي البصري	مظهر حركية التكيّف السردية لدى الشخصية ومُجتمعها المحيط
تَموت، تَرحل، تَعود (Abirached, 2012)	• (A) التعرف على المشاعر • (R) التحفيز الأخلاقي • (S) الدعم	(المؤانسة والرّفْقة الهندسية) (Abirached, 2012, p 13, 30- 32, 39, 71, 98, 110-114, 142, 150,)، ورسم مَساقط الشقق والخرائط الحضَرية (Abirached, 2012, p 32- 34, 36, 68, 69)، وتوظيف تصميم صوتيّ مَرْئيّ متميّزٍ (Abirached, 2012, p 20-21, 61, 107, 123, 134, 136- 137, 150-154).	بديلةً، وتحويل تجربة التَّهْجير القسريّ المؤلمة بتمثيلٍ رمزيّ إلى رحلةِ إبحارٍ عبرَ الكتابة، وصياغة الاسم مَرْكِبًا للإبحار (Abirached, 2012, p 184- 188)؛ لأن الهوية اختُصِرت في فِعْل كتابة الاسم؛ رمزًا لتحكّم وجود الوثائق المُثبِتة للهوية في مصير الشخص وتَمكينه من العُبور إلى الأماكن الآمنة.
أنا أتذكّر بيروت (Abirached, 2008)	• (C) التموضع المكاني • (A) التعرف على المشاعر • (R) التحفيز الأخلاقي • (S) الدعم	تفكيك التسلسل الخطّي التتابعي، والاعتماد على السرد المكاني، وجَمْع مخلفات الحرب وكأنّها أشياء تذكارية ذات دلالةٍ تشخيصيّةٍ: بقايا المتاجر وذكريات أصحابها، بقايا الشظايا الجديدة، مسارات اللجوء والارتحال المفاجئ دائمًا، بقايا لمخاوف من الفَقْد الذي بات حقيقةً حادِثةً (Abirached, 2008, p 56- 95).	إزالة الأُلْفة الإبستيمية عن أدوات القَتْل، وتَطبيع الواقع المأزوم؛ لتحقيق التوازن المعرفي، والاعتماد على دور المعلّمين -على وجه الخصوص- ومن بعده مُقدّمي الخدمات المعيشية اليومية، بوصف ذلك ركيزةَ استقرار.

يُظهر التحليل الهيكلي المكثّف في الجدول رقم (5) كيف تتضافر جماليات البناء السردي البصري مع الأبعاد الإجرائية لنموذج (رِعاية CARES)؛ لإعادة إنتاج فضاء التكيّف السردي؛ فالانتقال من لوحات القلم الرصاص الشاحبة في (مهمة علياء) إلى قلم الحبر الأسود القاتم، والتكرار الهندسي الصارم والمتناظِر للوحات المشهدية في (لعبة السنونو)، وُصولًا إلى تفكيك السرد الخطي التتابعي لصالح السرد المكاني في (أنا أتذكّر بيروت)، لا يَعمل بوصفه حِيَلًا أسلوبيةً مُجرّدةً، وإنما يُمثّل صياغةً أخلاقيّةً واعِيةً لأنسجةٍ سرديةٍ حامِيةٍ، تَمنح الطفل مساحةً بصريةً آمِنةً، يَتجاوز من خلالها عشوائيةَ الخراب في الخارج، ويُعِيد تأسيسَ انتمائه الإنساني وهُويّتَه الجمعية بالاعتماد على شبكة الرعاية المجتمعية والمؤسّسية الداعِمة.

النتائج:

تُسفر هذه الدراسة عن مجموعةٍ من النتائج المركزية، التي استُخلِصتْ من خلال تحليل السرديات الحكائية البصرية الثلاث، وعبر تطبيق مصفوفة نموذج (رِعاية CARES) المبتَكَر؛ وتفصيلها على النحو الآتي:

1- أثبتتْ هذه الدراسة صحّة الفرضية الأولى؛ حيث كشَف التحليل السردي والبياني أنّ الرعاية العلائقية والمجتمعيّة شكّلت أبرز قوى التكيّف السردي في المتن المدروس.

ويُؤكّد هذا أنّ حركيّة التكيّف السرديّة في البيئة العربية المأزومة بالنزاع المسلّح ليست سِمَةً فرديّةً، وإنما هي فِعْلٌ بينَ-ذاتيّ، يَتخلّق في رحم العلاقات الإنسانية الحيّة؛ تَماشيًا مع رؤية (Noddings, 2013)، التي تَضع العلاقة فوق المبادئ المجرّدة. وتَجِد هذه النتيجة تأييدًا مباشِرًا في الأدبيات النقدية لكلٍّ من (Szép, 2014)، التي تُبرهن على أنّ التماسك البشري يَخلق فضاءً من المؤانسة والرّفقة الهندسية القادِرة على قَهْر فوضى الدمار، ومقاربة (Kemp, 2017)، التي أثبتت أنّ طقوس

الجِوار اليومية الصغيرة تَعمل ملاذاتٍ وِجدانيّةً حاضِنَةً واقِيَةً، تَحمي نفسيّة الطفل في الحرب من التفكُّك، وتَمنحه مرساةً للاستقرار الوجداني.

2- تحقّقت الفرضية الثانية من خلال منحنى تصاعد الوكالة؛ إذ نجح وسيط السرديات الحكائية البصرية في نقل الطفل من حالة (تلقّي الحدَث) المأزومة إلى رُتبة (المُبادِر الأخلاقي)، الذي يَمتلك سُلْطةَ إنتاج المعنى، والحِفاظ على الذاكرة الجمعية.

ويدعم هذا التحوّل البنيوي ما كشفتْ عنه دراسة (Atieh, 2025) من أنّ إعادة تعريف أدوات الموت والشدائد التراكمية (كالشظايا المعدنية) وتحويلها بصريًّا إلى لُعَبٍ طفوليّةٍ، تُمثّل التطبيق العملي للفاعلية الإبستيمية والوكالة السردية، التي تَنقل الطفل من دور المتلقي السلبي إلى صانعٍ للحقيقة والمعنى، وإلى مَانِعٍ لمحْو التاريخ الشخصي والجَمْعي. ويتماشى هذا مع مقتضيات إعلان المدارس الآمِنة (2015م) (Global Coalition to Protect Education from Attack, 2015)؛ لحِماية البيئات الحضَرية والتعليمية، وتَجنيبها ويلات المعارك المسلَّحة.

3- تَخلص الدراسة إلى أنّ المكان في السرديات الحكائية البصرية الخاصة ببيئات النزاع المسلّح العربية يَعمل بوصفه (فاعِلًا راعِيًا)، مُحوِّلًا الجغرافيا من مسرحٍ للقتل إلى ملاذٍ دلاليٍّ حامٍ، يَسْتَنْبِتُ الحقّ في الكرامة والمستقبل.

وتتفق نتائج هذه الدراسة في شقّها الحقوقي والتربوي مع المنظور التأسيسي لِـ(Todres & Higinbotham, 2016) في أنّ أدب الأطفال يَعمل وسيطًا بيداغوجيًّا وتخيّليًّا لترجمة السردية القانونية، يُسهم بفاعليةٍ في التنشئة المدَنية وبناء الوعي الإنساني من خلال تجسيد الحُقوق المُضمَّنة في الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة عام 1989م (United Nations, 1989) ومَسرَحَتِها.

بناءً على ذلك، فإنّ تفعيل إجراءات نموذج (رِعاية CARES) يُمثّل استجابةً بيداغوجيةً ونقديةً مباشِرةً للمقاصد الحقوقية الكامنة في المادة (38) من الاتفاقية (المعنيّة بالحماية واحترام قواعد القانون الدولي الإنساني في النزاعات المسلّحة)، والمادة (39) من الاتفاقية نفسها (التي تُلزم الدول بتشجيع إعادة التأهيل النفسي والاجتماعي والترميم الوجداني للضحايا الصغار)؛ حيث يَعمل النموذج إجرائيًّا على إعادة بناء حواضن الأمان الوجداني التي حطّمتها عشوائية الحرب وترميمها.

يَعضد هذا التوجُّه البيداغوجي والمؤسَّسي ما توصّلت إليه (Al Dhahab & Atieh, 2025) من الدّور الوقائي الحاسِم للمعلّمين والمدارس بوصفهم ركائز للأمان النفسي والأكاديمي وسْط الأزمات، وهو ما يدعم مباشَرةً الدعم والتمكين من خلال التّعليم في نموذج (رِعاية CARES)؛ ولا سيما أنّ مصفوفة (رِعاية CARES) البيداغوجية قد أبانتْ عن كفايةٍ تشغيليةٍ عاليةٍ في تجسير الهوّة بين فوضى الواقع والترميم الوجداني؛ مَسنودةً بالامتداد الفلسفي والتحليلي لِـ(De Muijnck, 2022) في تأصيل سياقات الذاكرة الذاتية المَأزومة، والبرهنة العِيادية الطّولية لِـ(Pennebaker et al., 1997)، الذين يُخرجون التكيّف السردي من فضاء الاستجابات العفوية العابرة إلى رتبة المنظومة الاتصالية البانِية لهويّة الطفل.

وبالنظر في ما أسفرت عنه الدراسة من مخرجات وتحليلات نقدية، فإنها تُوصي بالآتي:

1- ضرورة تبنّي معايير نموذج (رِعاية CARES) في تصميم السرديات الحكائية البصرية والقصص المصوّرة الموجّهة للأطفال في مناطق الأزمات؛ مع التركيز على رفع كفاءة إجراء (التقييم السلوكي) عبر وضع الشخصيات السردية في مواقف تتطلّب خياراتٍ أخلاقيّةً مُعقّدةً؛ ممّا يُنمّي مهارات التفكير الناقِد والمواطَنة المسؤولة لدى الناشئة في بيئات النزاع المسلح.

2- للمربّين والمؤسسات التعليمية: دَمج السرديات الحكائية البصرية القائمة على التوثيق المكاني بوصفها أدواتٍ لتعزيز الذكاء الجغرافي والوعي بالحقّ في الأمان وفق المعايير الدولية.

3- للباحثين: توسيع نطاق نموذج (رِعاية CARES) ليشمل المرونة الرقمية، والمسؤولية السردية في الألعاب الإلكترونية، ووسائط التواصل الاجتماعي، التي يَتعرّض من خلالها الأطفال لشدائد الحرب غير المباشِرة.

وفي الختام، تَؤول هذه الدراسة إلى تقديم نموذج (رِعاية CARES) بوصفه منظومةً اتصالٍ بيداغوجيةً وأخلاقيةً غيرَ وَصْمِيّةٍ، داعِيةً إلى دمج أبعادها وتَعميمها على مُصمّمي المناهج، وصُنّاع المحتوى الإعلامي الموجّه للناشئة بوصفها ركيزةً أساسيّةً لرفع كفاءة الأثر الاتصالي الإيجابي، وتَمكين الطفل العربي من امتلاك أدوات التعبير الاتصالي السردي التمكيني في مواجهة أزمات النزاعات المسلّحة وشدائدها التراكمية.

وتَخلص الدراسة إلى أنّ تمكين الطفل من استعادة سُلْطته الإبستيمية عبر امتلاك صَوته ومساحته التعبيرية، هو الذروة في تحقيق التكيّف السردي؛ في اتّساقٍ نقديٍّ مع طروحات (De Muijnck, 2022) حول استعادة الاستقلالية والذاتية عبر البناء الحكائي، وما أكّدته تجارب (Ferreira et al., 2025) عِياديًّا من مركزية التمكين والاتساق السردي في تفكيك شفرات الألم وإعادة بناء الهوية، والتناغم التام مع الرؤية الوجودية المعاصرة لِـ(Tsykhuliak et al., 2025)، والإثباتات اللغوية والنفسية لدى (Pennebaker et al., 1997)؛ حيث تحويل تجربة النزاع والشتات وشظايا الذاكرة المتضررة إلى أداةٍ فاعِلةٍ، واستقلاليةٍ عابرةٍ للأجيال.

المراجع

Abirached, Z .(2008) .*I Remember Beirut* (E. Gauvin, Trans.). Graphic Universe. https://lernerbooks.com/shop/show/13444

Abirached, Z .(2012) .*A Game for Swallows: To Die, To Leave, To Return* (Expanded Edition) (E. Gauvin, Trans.). Graphic Universe .https://lernerbooks.com/shop/show/11488

Adhikari, A., Saha, B., & Sen, S. (2023). Nel Noddings' theory of care and its ethical components. *International Research Journal of Education and Technology*, 5(8), 198- 206.

Al Dhahab, M. N., & Atieh, M. R. (2025). Probing the Effectiveness of AI Tools in Analyzing Modern Arabic Literature: A Case Study of I Remember Beirut. *PalStudent Journal*, 7(Special Issue), 1-10. https://dspace.alquds.edu/bitstreams/329f393c-c7b0-4a42-8faa-d1425514f71e/download

Atieh, M. (2025). *Visual Collecting in/as Crisis: De/familiarized War Memorabilia in the Graphic Narrative of Zeina Abirached's I Remember Beirut*. In NEPCA, USA. https://www.researchgate.net/publication/397867040_Visual_Collecting_inas_Crisis_Defamiliarized_War_Memorabilia_in_the_Graphic_Narrative_of_Zeina_Abirached's_I_Remember_Beirut

Barthes, R .(1977) .*Image-Music-Text* (S. Heath, Trans.). Hill and Wang. https://archive.org/details/imagemusictext00bart

Braun, V & ،.Clarke, V .(2006) .Using thematic analysis in psychology .*Qualitative Research in Psychology, 3 (2), 77- 101.* https://doi.org/10.1191/1478088706qp063oa

Chute, H. L. (2016). *Disaster drawn: Visual witness, comics, and documentary form*. Harvard University Press. https://www.hup.harvard.edu/books/9780674504516

Davies, D., & Rifkind, C. (Eds.). (2020). *Documenting trauma in comics: Traumatic pasts, embodied histories, and graphic reportage*. Palgrave Macmillan. https://doi.org/10.1007/978-3-030-37998-8

De Muijnck, D. (2022). Narrative, Memory and PTSD. A Case Study of Autobiographical Narration After Trauma. *The European Journal of Life Writing, 11, AN75–AN95.* https://doi.org/10.21827/ejlw.11.38659

Eastmond, M. (2007). Stories as lived experience: Narratives in forced migration research. *Journal of Refugee Studies*, 20(2), 248–264. https://doi.org/10.1093/jrs/fem007

Ferreira, V. N., Hjelmervik, H., Bell-Mizori, A. R., Tokovská, M., Domogalla, S. A., Serpeloni, F., Axelson, S., Arango, I., & Weber, S. (2025). Empowering narratives: aid to self-help for Ukrainian refugees: a randomized controlled trial of Narrative Exposure Therapy (NET) delivered by supervised Ukrainian health workers in Norway. *European Journal of Psychotraumatology*, 16(1), Article 2567094. https://doi.org/10.1080/20008066.2025.2567094

Frank, A. W. (2010). *Letting stories breathe: A socio-narratology*. University of Chicago Press.

Fricker, M. (2007). Epistemic injustice: Power and the ethics of knowing. Oxford University Press. https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780198237907.001.0001

Global Coalition to Protect Education from Attack. (2015). Safe Schools Declaration: An inter-governmental political commitment to protect students, teachers, schools, and universities from the worst effects of armed conflict. https://protectingeducation.org/wp-content/uploads/documents/documents_safe_schools_declaration-final.pdf

Henckaerts, J.-M., & Doswald-Beck, L. (Eds.). (2005). *Customary International Humanitarian Law (Vol. 1: Rules)*. International Committee of the Red Cross; Cambridge University Press. https://www.icrc.org/en/war-and-law/treaties-customary-law/customary-law

International Committee of the Red Cross (ICRC). (1977a). *Protocol Additional to the Geneva Conventions of 12 August 1949, and relating to the Protection of Victims of International Armed Conflicts (Protocol I)*. https://ihl-databases.icrc.org/en/ihl-treaties/api-1977?activeTab=1949GCs-APs-and-commentaries

International Committee of the Red Cross (ICRC). (1977b). *Protocol Additional to the Geneva Conventions of 12 August 1949, and relating to the Protection of Victims of Non-International Armed Conflicts (Protocol II)*. https://ihl-databases.icrc.org/en/ihl-treaties/protocol-ii-1977

Kemp, A. (2017). Je me souviens de Beyrouth: Zeina Abirached's Perecquian practice. *International Journal of Francophone Studies*, 20(3-4), 183-208. https://doi.org/10.1386/ijfs.20.3-4.183_1

Layne, C. M., Sloan-Pena, G., Dixon, K., Bell, L., Barrientos, B., Schapiro, S., Nalluri, A., Mandadi, R., & Etuk, I. (2025). Bereavement, loss, and grief in war-exposed children and adolescents. *Psychiatry*, 88(3), 220–239. https://doi.org/10.1080/00332747.2025.2530315

Lundy, L. (2007). 'Voice' is not enough: Conceptualising Article 12 of the United Nations Convention on the Rights of the Child .*British Educational Research Journal, 33(6), 927–942. https://doi.org/10.1080/01411920701657033*

Martad (مرتاض), A. (1998). Fi nazariyat al-riwayah: Bahth fi tiqniyat al-sard [In novel theory: Research on narrative techniques] (Silsilat 'Alam al-Ma'rifah, No. 240). Al-Majlis al-Watani lil-Thaqafah wal-Funun wal-Adab.

Nikitenko, I. (2025). Representation of war trauma through graphic narratives for younger audiences. *International Research in Children's Literature*, 18(2), 188–201. https://doi.org/10.3366/ircl.2025.0617

Noddings, N .(2013) .*Caring: A Relational Approach to Ethics and Moral Education* (2nd ed.). University of California Press .https://www.jstor.org/stable/10.1525/j.ctt7zw1nb

Pennebaker, J. W., Mayne, T. J., & Francis, M. E. (1997). Linguistic predictors of adaptive bereavement. *Journal of Personality and Social Psychology*, 72(4), 863–871. https://doi.org/10.1037/0022-3514.72.4.863

Phelan, J. (2012). *Narrative scenarios: Rhetoric, ethics, and the teaching of literature*. Vanderbilt University Press.

Rousseau, C., Singh, A., Lacroix, L., Bagilishya, D., & Measham, T. (2004). Creative expression workshops for immigrant and refugee children. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, 43(2), 235–238. https://doi.org/10.1097/00004583-200402000-00021

Schreier, M. (2012). *Qualitative content analysis in practice*. SAGE Publications Ltd, https://doi.org/10.4135/9781529682571

Stamaty, M. A .(2004) .*Alia's Mission: Saving the Books of Iraq* (Inspired by a true story). Alfred A. Knopf. https://www.penguinrandomhouse.com/books/171598/alias-mission-by-mark-alan-stamaty/

Szép, E. (2014). Graphic narratives of women in war: Identity construction in the works of Zeina Abirached, Miriam Katin, and Marjane Satrapi. *International Studies: Interdisciplinary Political and Cultural Journal*, 16(1), 21-33. https://doi.org/10.2478/ipcj-2014-0002

Todres, J., & Higinbotham, S. (2016). *Human Rights in Children's Literature: Imagination and the Narrative of Law*. Oxford University Press. https://global.oup.com/academic/product/human-rights-in-childrens-literature-9780190213343

Tsykhuliak, I., Shpitun, I., & Mnozhynska, R. (2025). Existential aspects of the adaptation process of the individual in the post-traumatic context of war experience: freedom, meaningful life orientations, and identity. *Philosophy and Political Science in the Context of Contemporary Culture*, 17(1), 108–115. https://doi.org/10.15421/352515

UNESCO. (1954). *Convention for the Protection of Cultural Property in the Event of Armed Conflict*. UNESCO Legal Instruments. https://www.unesco.org/en/legal-affairs/convention-protection-cultural-property-event-armed-conflict-provisions-interpretation

UNICEF Innocenti. (2025). *Prospects for children in 2025: Building resilient systems for children's futures (Global Outlook Series)*. UNICEF Innocenti – Global Office of Research and Foresight.

UN General Assembly & UN Security Council. (2025). *Children and armed conflict: Report of the Secretary-General (A/79/878-S/2025/247)*. United Nations. https://docs.un.org/en/A/79/878

United Nations .(1989) .*Convention on the Rights of the Child Office* of the United Nations High Commissioner for Human Rights. https://www.ohchr.org/en/instruments-mechanisms/instruments/convention-rights-child

United Nations General Assembly. (1948). *Universal Declaration of Human Rights (Resolution 217 A)*. https://www.un.org/en/about-us/universal-declaration-of-human-rights

United Nations Security Council .(2000) .*Resolution 1325 (2000) on Women, Peace and Security* .(S/RES/1325). https://undocs.org/S/RES/1325(2000)

UN News. (2024, May 20). *Gaza: 'Nightmare, catastrophe, hell on earth' for civilians*, UN officials warn. United Nations. https://news.un.org/en/story/2024/05/1150001

Veldhuizen, V. (2021). *Empathy, Ethics, and Justice in Children's War Literature* (Doctoral dissertation, University of Cambridge). https://doi.org/10.44a08921-c9fd-491f-ba40-71d3e64cbf51

Veronese, G., Mahamid, F., Obaid, H., Bdier, D., & Cavazzoni, F. (2024). Positive and negative effects of child's agency on trauma symptoms and psychological difficulties in war-like conditions: The mediating role of hope and life satisfaction. *Journal of Mental Health*, 33(6), 749–758. https://doi.org/10.1080/09638237.2024.2332801

Veronese, G., Obaid, H., Mahamid, F., Bdier, D., & Cavazzoni, F. (2026). Agency as a buffer against trauma and psychological difficulties in children affected by war: The mediating role of life satisfaction and hope in a two-wave study in Palestine. *Psychological Trauma: Theory, Research, Practice, and Policy*, 18(4), 794–807. https://doi.org/10.1037/tra0001982

Walter, V. A. (1993). *War and peace literature for children and young adults: A resource guide to significant issues*. Oryx Press.